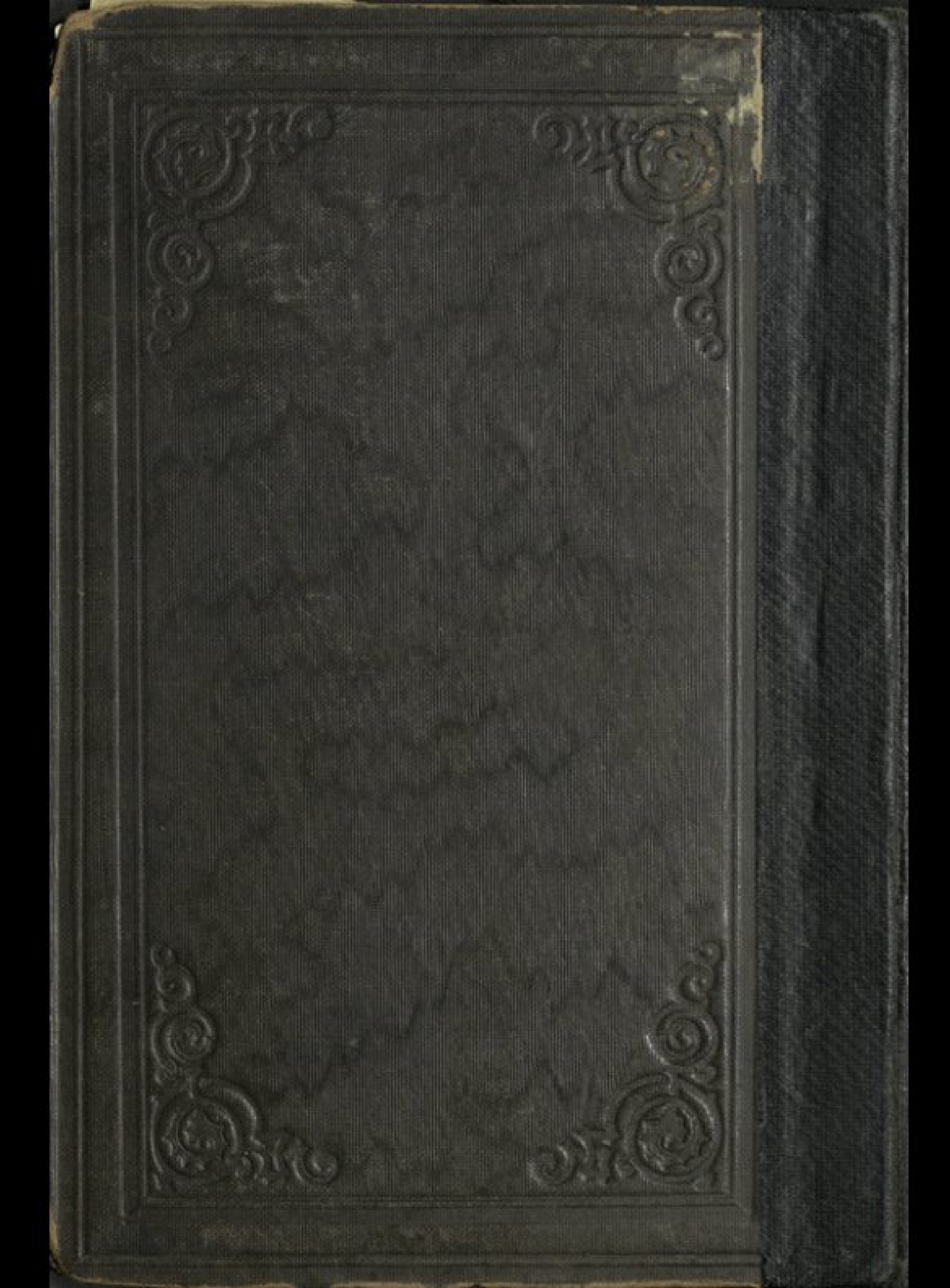
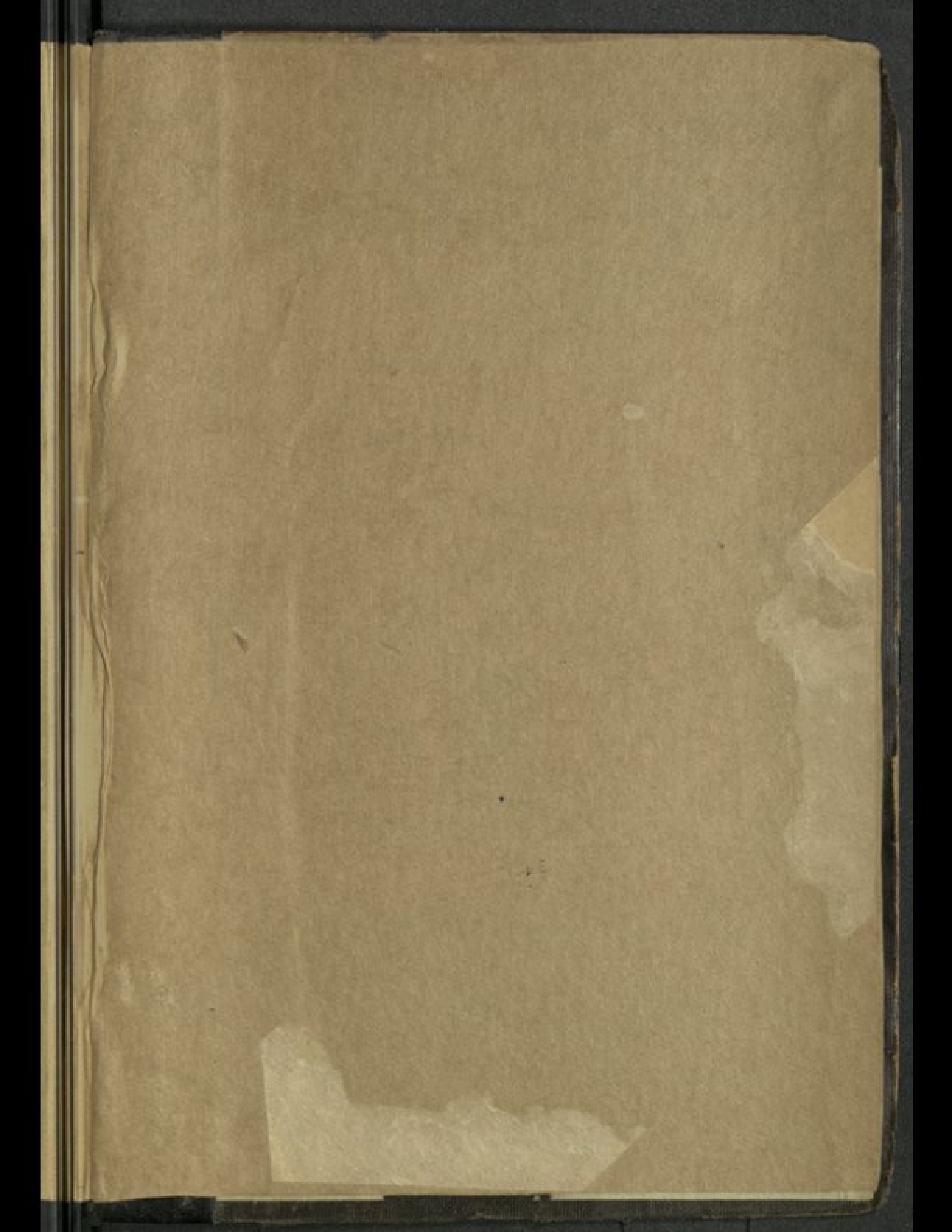
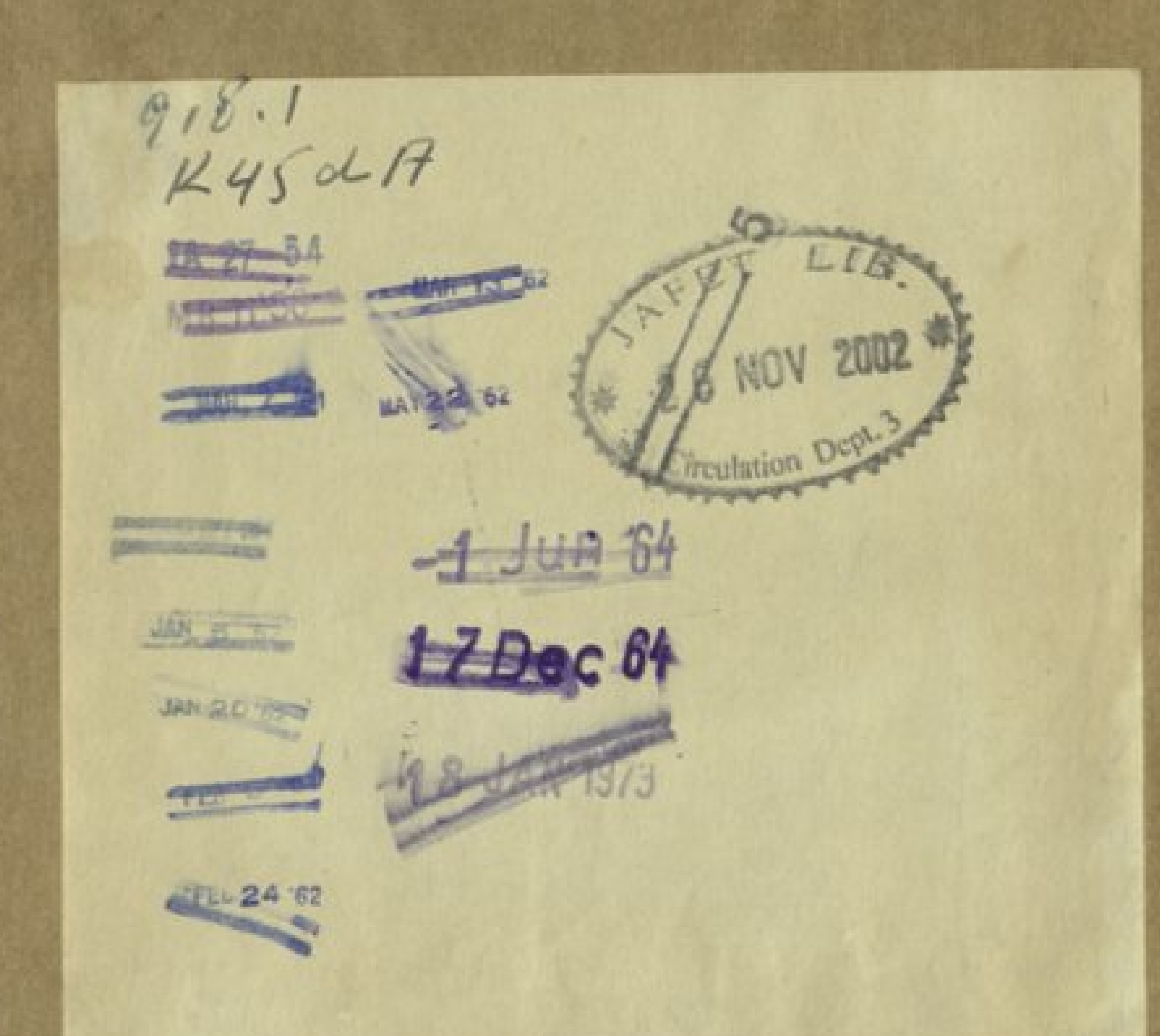
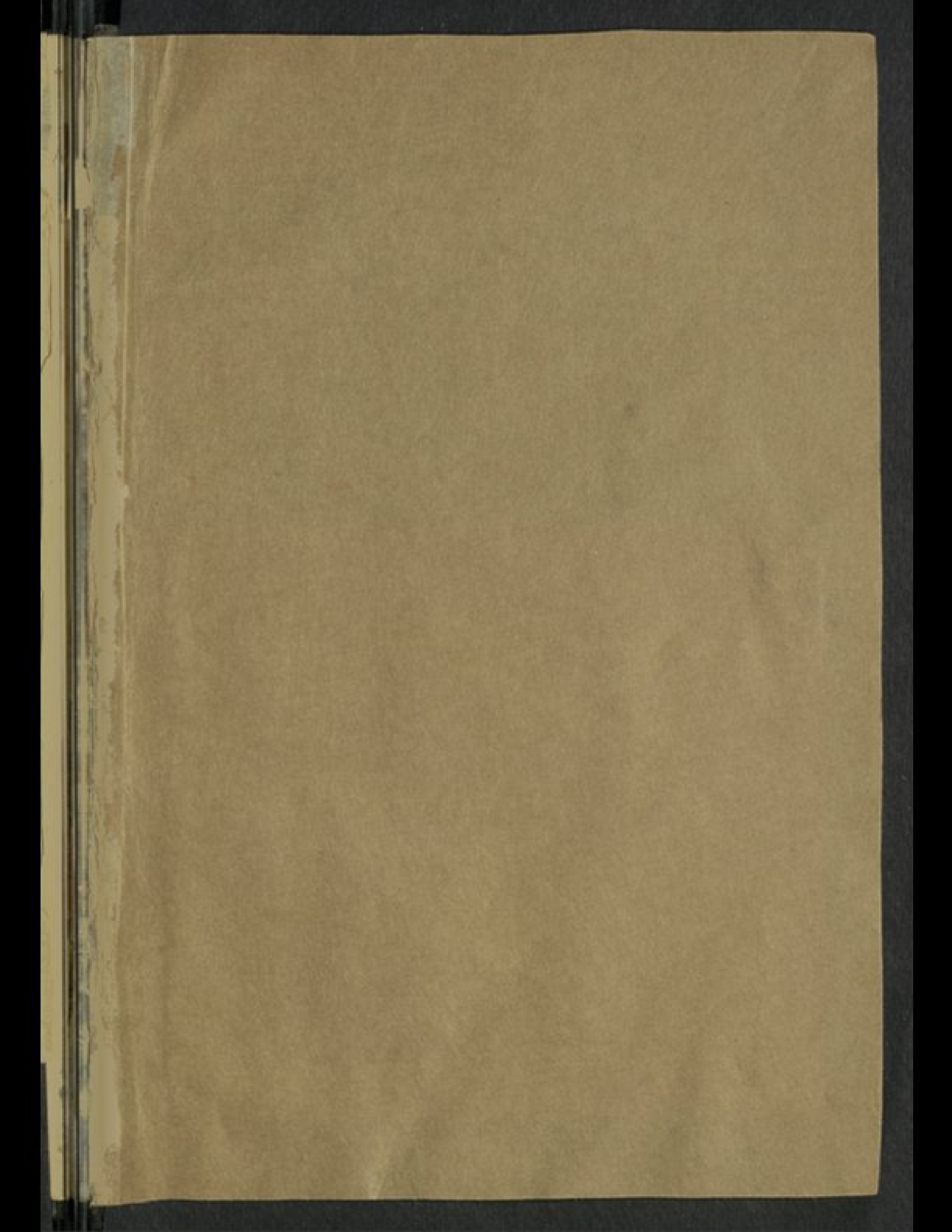
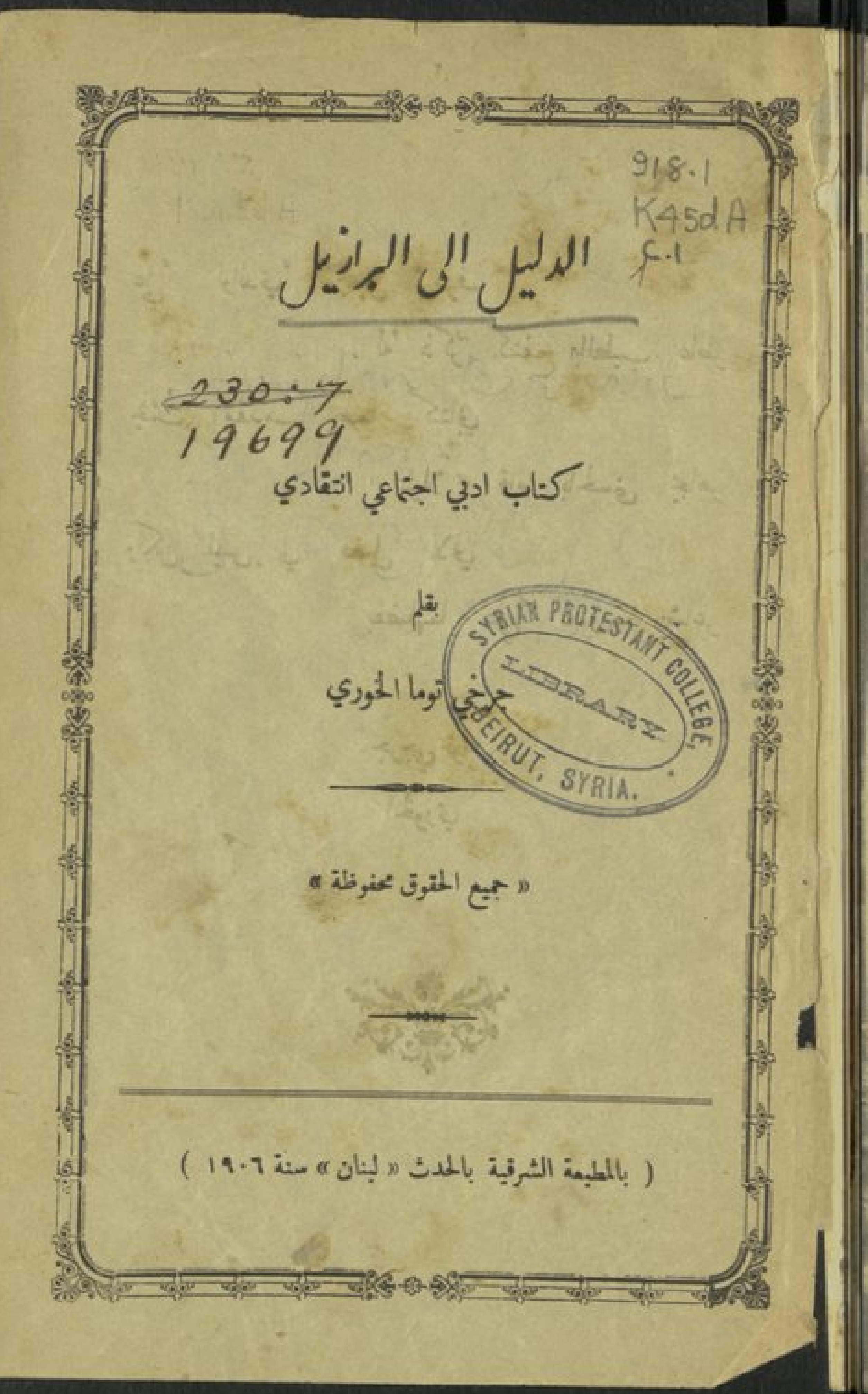





918.1
K45dA
JAFET LIB.
NOV 2002
Circulation Dept. 3
-1 JUN 64
17 Dec 64
JAN 20
MAY 22 '62
FEB 24 '62
18 JAN 1973





الدليل الى البرازيل

كتاب ادبي اجتماعي انتقادي

بقلم

جرجي توما الخوري

(بالمطبعة الشرقية بالحدث «لبنان» سنة ١٩٠٦)

عليّ لوالديّ جميل عرف

لهُ ذكرٌ كنفح الطيب عاطر

فجئت مقدماً لهما كتابي

« دليلاً » قام بالحسنى يجاهر

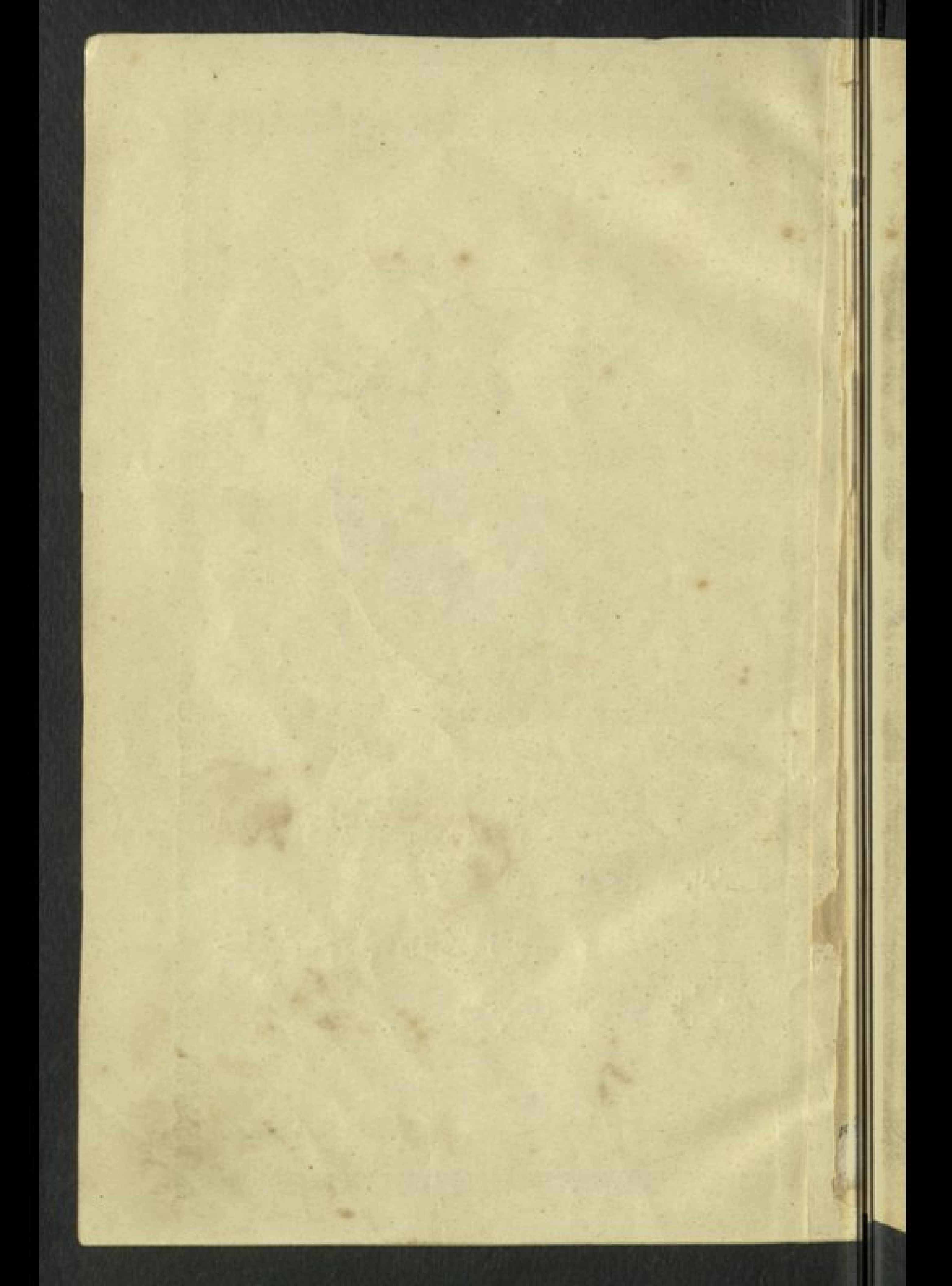
ولكن ليس لي فضل لاني

بفضلهما عليّ غدوت شاعر

جرجي توما

الخوري







اراني مذ نشأتُ على هواكم
ايا آل المكارم والمحامد
خطبتُ ودادكم وزففتُ قلبي
ورسمي في الكتاب عليَّ شاهد

مقدمة

« لحضرة الصديق الكاتب العصري المجيد »

« جرجي افندي نقولا باز »

رغب السوريون في المهاجرة الى العالم الجديد رغبة كادت تتجاوز حد الاعتدال . وكثر المهاجرون كثرة توجف القلب وتزعج البال وتنذر القطر بسوء المصير وقبح المآل لا سيما هذه الاونة الاخيرة اذ تهافت القوم على ركوب متن المهاجرة دون تروٍ واستعداد وتاه معظمهم في دياجي مفاسد الاغتراب غير مشفقين على نفوسهم وعواطف الانسباء وحاجة الامة ومجد البلاد . وقد عظم شوق الامة الى ابنائها النائين وشعرت بشدة العوز اليهم واخذ بعض الكتاب يمثلون احوال المهاجرين بايضاح تام ويصفون ما يقاسونه من ضروب الاهوال وانواع المشقات تهدئة للافكار الثائرة المتجهة الى مغادرة الوطن اغترارًا بما يرى من نجاح البعض ووفرة ثروة الافراد ولكن ما سطروه في هذا الشان لم يتعدَّ بضع مقالات في الصحف السيارة قلما يكون لها تأثير كتاب يسهب فيه بوصف ذلك

. وقد نظر الى هذا الامر حضرة صديقي الفاضل جرجي افندي توما الخوري مؤلف هذا الكتاب حينما عزم على مغادرة البلاد الى البرازيل حبًا بالسياحة واستطلاعًا للحظ وبدا له ان يؤلف كتابًا يصف فيه رحلته من اول يوم يغادر فيه ربوع سوريا الى ان يعود اليهـا معاهدًا الذمة والضمير الا يخط حرفًا ضد ما يراه بعينيه ويسمعه باذنيـه . وقد استتب له ذلك وجاء كتابه جامعًا لكثير من الفوائد الضرورية للمهاجرين والعازمين على المهاجرة وكاشفًا

النقاب عن حقائق الاحوال ومساوىء الاغتراب وموضحاً لكثير من خفايا زعانف السوريين التي يندى لها جبين الانسانية على ان الوقت الذي صرفه المؤلف في عاصمة الجمهورية وضواحيها غير كافٍ للراحة من عناء السفر والبحث عن شغل مناسب وخمود نيران العواطف المتأججة من جراء فراق الاهل والاحباب فضلاً عما يقتضيه تأليف كتاب كهذا من البحث والتنقيب ولكن العزائم تمغط الايام وتذلل الصعاب

ان مؤلف هذا الكتاب شاب ذكي اديب تقي شاعر كاتب يحسن العربية والافرنسية وله المام باليونانية ولد في عكا ودرس في مدرسة الجمعية الخيرية فيها وعلم في عدة مدارس فلسطينية ولبنانية واقد كتب مقالات عديدة دينية وادبية نشر بعضها في جرائد سوريا ونظم عشرات من القصائد والنبذ لديه منها ديوان نفيس وقد قابل المرحوم الغراندوق سرجيوس الكسندروفتش في زيارته لفلسطين ونال منه التفاتاً سامياً وخاتماً ثميناً تذكاراً لاعجابه به واقام في بيروت منذ اربع عشرة سنة وتولى ادارة محل الخواجه خليل درّاج المشهور بعمل الموبيليا والتنجيد زهاء ثماني سنوات كان فيها عنوان الاستقامة والنشاط وسافر في منتصف هذا العام الى البرازيل وعاد . وهو بعد معاركة الايام ومعاشرة العالم واختبار خلهم من خمرهم رأى ان احسن ما يأتيه المرء في دنياه خدمة بني جنسه والعمل على نفعهم باخلاص عملاً مجرداً لوجه الله والخير العام ولهذا اقدم على نشر كتابه (الدليل الى البرازيل) خدمة لمن يخطر في باله ان يحسب نفسه في عداد المهاجرين وتفكهة للمطالعين وعبرة للمعتبرين

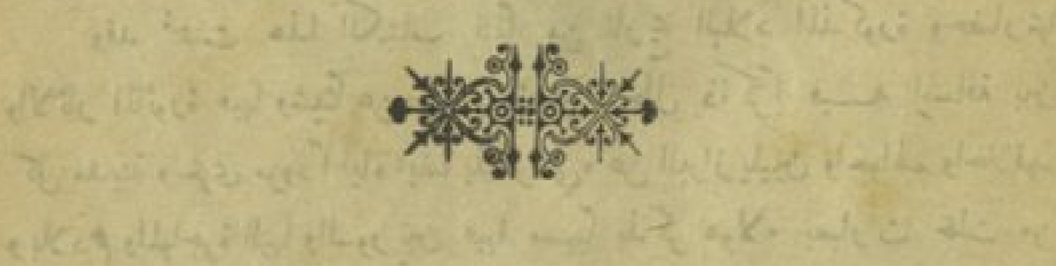
تلا عليَّ صديقي المؤلف كتابه هذا قبل تمثيله للطبع فرأيته جديراً باقبال السوريين عليه اخصهم طلاب المهاجرة ورأيت ان الامة في حاجة الى اكثر من كتاب في هذا الموضوع لان معظم مهاجريها ينزحون دون تبصر وامعان وتاهل واستعداد ولا يلبث الكثيرون منهم ان يندموا على تركهم هذه البلاد ويتمنوا العودة اليها لو يستطيعون . فضلاً عن ان المؤلف قد اجاد في وصف ما شاهده في رحلته من المناظر البديعة والتحف الثمينة والآثار العظيمة الطبيعية والاصطناعية التي تدهش الابصار وتأخذ بمجامع الافكار واتى على

ذكر متاعب الاسفار واهوال البحار ومثل كثيرًا من امور المهاجرين بمزق استار التوهم والاغترار ونوَّه بفضل الصحافة والصحافيين وقد تفنن في الانشاء وجعل كتابه مزيجًا من الجد والهزل وزين نثره بعدة ابيات من الشعر وتوخى الفائدة واللذة معاً فلا يكاد المطالع يتعب عقلاً ونظرًا حتى تمرّ امامه نكتة ظريفة يقهقه لها فيرتاح عقله ونظره ناهيك عن عبارة سلسة وتعبيرٍ واضح · وهو في كل ذلك غير متعمد تبغيض السوريين كافة بالمهاجرة بل جل ما يقصده ايضاح الحقيقة وتنبيه الغافل وخدمة العازمين على المهاجرة ليكونوا على بصيرة مما سيعانون · ولا مشاحة ان الصدق والاخلاص يشفان من خلال كتابه المملوء نصائح وفوائد

فاهنيء صديقي بكتابه المفيد واتمنى للامة انتفاعًا به وبكل كتاب يصدره كاتب سوري مخلص للامة والدولة · مجاهر بالحق · محضّ على الخير · مطالب بالواجب · محامٍ عن الاداب والفضائل · مرغب بالعلم والانسانية

جرجي نقولا
باز

٢٣ — ١٢ — ١٩٠٥



مقدمة

اقول بعد حمد الاله المتعال . والحمد لله فرض مقدس في كل مقام ومقال .

سافرت على بركات الله رجاء رخاء اتوخاه وكلي امال بوارق ببلوغ المنى فعانيت مشاق السفر اربعة وثلاثين يوماً ذهاباً الى قارة اميركا الجنوبية (البرازيل) وعروقي تنبض لاستطلاع حالة السوريين وراء ذلك المحيط الكبير والوقوف على اعمالهم وتجارتهم الى غير ذلك من امورهم

وكنت وطنت النفس على ان اضع لسفري هذا سفراً ازين به جيد ما كتبته الى الان فيكون لي اثراً جميلاً اضن به الا في سبيل المصلحة الوطنية . وهكذا بعد ان وقفت على شيء من احوال البرازيل خيرها وشرها ولم اقض لبانتي فيها عدت الى الوطن وكنت ابتدأت بذكر بعض الاساكل السورية والمصرية والايطالية والاسبانية التي مررنا بها الى البرازيل فجعلت العود الى السنيغال وكناريا ومرسيليا لتكون الفائدة اوفر واوفى

وقد ضمنت هذا الكتاب نتفاً من تاريخ البلاد المذكورة وحضارتها والاثار المأثورة فيها وشيئاً عن بعض مشاهير الرجال ذاكراً فيه المسافة بين كل مدينة واخرى مزوداً اياه ايضاً بذكر شيء عن البرازيليين واحوالهم واخلاقهم وبلادهم والمهاجرة اليها والسوريين فيها مسهباً بذكر هولاء بعبارات خلت من التعقيد والتطويل ليكون المقال وافياً بالمرام

وسميته الدليل الى البرازيل ليس لانه يهدي المهاجر اليها فقط بل لما حواه من الامثلة التي يستفاد منها كيف يجب ان يكون السوري هناك لينتفع وينفع

مادياً وادبياً وقلما ضننت بذكر المغامز عنه حباً بالنفع العام فذكر الزلة مدعاة الى اصلاحها

وبعد الفراغ من تبييضه رايته حرياً بان يُركن اليه في الاخذ فمثلته للطبع خدمةً وطنية آملاً ان يصادف استحساناً عند اولي الفضل فيحلونه محل القبول ويسبلون ذيل الستر على زلل يرونه فيه فان العصمة لله وهو ولي التوفيق ·
هذا واني اتيمن بالدعاء لحضرة صاحب العدالة سيدنا ومولانا السلطان

« عبد الحميد خان »

ابد الله دولته وعزز شوكته

جرجي توما
الخوري



تمهيد

خُلق الانسان مفطوراً على اكتشاف مجاهل الارض واستنباط المخبآت والوقوف على المكنونات فضرب في الارض طولاً وعرضاً وكان كلما ملّ من الاقامة في مكان عمد الى غيره واصلحه واستوطنه فظهرت الربوع الآهلة على على نحو عيشة البادية الى اليوم الا انهم تفننوا في المساكن فبعد ان كانت خياماً اصبحت قصوراً شاهقة فاندفع الانسان بعامل المدنية الى تفضيلها على ما تقدمها من المساكن لموافقتها لروح العصر وحاجة الحضارة وان عارضه اهل البادية بقول ميسون

لبيتٌ تخفق الارواح فيه   احبُّ اليَّ من قصرٍ منيفِ
ولبسُ عباءةٍ وتقر عيني   احبُّ اليَّ من لبس الشفوفِ

ولقد ظل الانسان عاملاً على اكتشاف خطط البلاد منقطعاً اليها قياماً بقول المثل لكل جديد طلاوة لا يقر له قرار فاذا اكتشف خطة طمع باخرى واذا عاشر قوماً مال الى سواهم وهو يناجي فؤاده ليرشده الى بلاد يكون له فيها منتهى الآمال وكل النجاح والاقبال وهب انه حصل عليها فلا يلبث ان يسأمها ويميل الى مكانه الاول كما قال عنه الشاعر

كم منزل في الارض يألفهُ الفتى   وحنينه ابداً لاول منزلِ

تلك عادة نشأت مع الانسان منذ نشأته كما يظهر من استقراء التاريخ المقدس في رحلة بني اسرائيل وحنينهم الى منزلهم الاول . والمهاجر في ابان العسر قد لا يلام استناداً الى قول الشاعر

واذا رأيت الرزق ضاق ببلدةٍ   وخشيت فيها ان يضيق المكسبُ

فارحل فارض الله واسعة الفضا   طولاً وعرضاً شرقها والمغربُ

ولذة الاكتشاف جرأت الانسان على اقتحام المخاطر وركوب غارب الاسفار حيناً بعد آخر توصلاً الى دنيا غير دنيانا ولو تيسر له البلوغ الى المريخ لفعل ... وبفضل هذا السعي ظهر في عالم الوجود القارّات الجديدة وما كاد الناس يعلمون بهـا حتى تهافتوا على المهاجرة اليها تهافت الجياع على القصاع وكان من جملتهم السوريون الذين يبتدي تاريخ مهاجرتهم منـذ ٣٠ سنة مندفعين بعاملي الغيرة والتشبه حتى بعض المثرين منهم وكثيراً ما دبت بينهم عقارب المزاحمة في دار الغربة عملاً بتنازع البقاء فجوزي بعضهم بما يستحقونه لانهم سلكوا على غير هدى دائسين الواجبات المقدسة لا يرعون حرمة ضمير ولا ذمة يتنصلون من الوطن وهو احرى بالتنصل منهم كما طرحتهم الانسانية من عالمها

ومن ثم رأينا بعد البحث والتدقيق ان المهاجرة كانت خيراً لقوم وشراً لغيرهم . كانت غنى وسعادة لبلدان وفقراً وشقاء لغيرها ولا نحاول البحث في هذين الامرين او الوقوف على اسرارها فان ذلك يستغرق المجلدات وانما جل ما نريده في هذا الكتاب هو وصف احوال السوريين في البرازيل وكيفية الحصول على الارباح فيها واستقامة البعض وعدم استقامة غيرهم فيكون من وراء هذا البحث فائدة لا تخفى على اللبيب

وهنا مجال للتعريض باولئك الاشخاص ذوي الاسماء المستعارة لغرض في النفس كأن يكون اسمه حنا فيبدله «بجوزيف» او يوسف فيقول انه «جورج» او بطرس فيقلبه الى «فيليب» ويتبعه بقلب اسم مدينتـه ليصفو له الجو ولا يغرب عن القارىء نذالة مقاصدهم وسوء نياتهم حتى عم القول بين المهاجرين (شو كان اسمك في اميركا) فهم يعملون على اخفاء الحقيقة وهي اتبع لهم من ظلهم وبئس ما يفعلون لانهم تحت ظل اسمائهم المستعارة وتحت حمايتها يشوهون وجه الانسانية بما يرتكبونه من الافعال التي تجعل الاسم السوري منحطاً في عيون العالم اجمع ..

فالى هولاء ومن لف لفهم يجب الانتباه وقد افضت في شرح حالهم في كتابي

هذا عسى ان يكون لهم ولامثالهم عبرة فيه ان شاء الله

﴿ السفر من بيروت الى البرازيل ﴾

سارت بنا الباخرة المسماة « ادريا جنوفا » من شركة « فلوريو وروباتينو » الايطالية من مرفا بيروت نحو الساعة العاشرة بعد غروب السبت الواقع في ٢٤ حزيران سنة ١٩٠٥ فودعنا هذه المدينة المشهورة بحسن موقعها وجمال منظرها من البحر ليلاً

حيفا Caiffa

وصلنا صباح الاحد في ٢٥ منه الى مدينة حيفا وهي حديثة العهد بالمدنية جاءها منذ اربع وثلاثين سنة جالية المانية فنزلوا في الجهة الغربية في جوار جبل الكرمل ووجهوا مزيد عنايتهم الى المزروعات فنجحوا نجاحاً يذكر وكثيرون منهم حصلوا على ثروة وافرة وقد تقدمت حيفا في السنين الاخيرة تقدماً بيناً ولا سيما منذ المباشرة بمد السكة الحديدية منها الى الشام وقد انتهت واصبح القطار يسير بين المدينتين بكل دقة وانتظام بفضل سيدنا ومولانا السلطان الاعظم الذي امر بايصال هذا الخط الى مكة المكرمة ودُعي الخط الحميدي الحجازي اما المدينة فهواؤها بليل ومركزها صحي وابنيتها جميلة وكلها من الحجر الابيض وفيها اكثر من ستة الاف نفس والمسافة بينها و بين بيروت نحو ٦٥ ميلاً بحرياً وجبل الكرمل الشهير فوقها منسك النبي ايلياس العظيم فيه كنيسة بديعة ودير جميل على اسم النبي المذكور للرهبان اللاتين وفيه ايضاً منارة شهيرة « فنار » في الجهة الغربية والاثار القديمة فيه كثيرة واشهرها مغارة النبي المذكور والاحجار التي قدم عليها

المحرقة اما الكرمة فكثيرة فيه وفي جواره · وخمرة الكرمل مشهورة والى جانبه لجهة الشمال الشرقية مرج ابن عامر الفسيح الارجاء يسير فيه الراكب نحو تسع ساعات طولاً وعرضه قيد ست ساعات وشهرته عظيمة بخصب التربة

عكاء St. Jean d'Acre

هذه المدينة واقعة الى شمال جبل الكرمل على بعد ساعة ونصف وشهرتها في التاريخ عظيمة تضاهي اشهر البلدان المنيعة وكانت تدعى قبلاً «عكو» راجع سفر القضاة · ص ١ ع ٣١ و بتولمايس Ptolémaïs كما سماها الكتاب المقدس في اعمال الرسل ص ٢١ ع ٧ وهي من اقدم المدن السورية واحصنها · افتتحها الصليبيون سنة ١١٩١ واسترجعها السلطان صلاح الدين الايوبي سنة ١٢٩٨ وله عليها الايادي البيضاء لانه شاد معظم اسوارها وقد حاصرها نابوليون بونابرت سنة ١٧٩٩ م و ١٢١٢ هـ · فرجع عنها خائباً وهو يقول لو اخذت عكاء لامتلكت الكرة الارضية

اما حالتها فليست في تقدم لانها بعد ان كانت تضم مئات الالوف اصبحت اليوم لا تحتوي على اكثر من ١٠ الاف من السكان و بعد ان كانت تدعي مفتاح سورية صارت تعد من الخرائب السورية وبساتينها كثيرة اشهرها البهجة والكيخيا وماؤها عذب لذيذ يجري اليها في اقنية حجرية من نهر الكابري على بعد ثلاث ساعات واشهر ابنيتها جامع الباشا ومأذنته البديعة وفي هذه المدينة ولد صاحب هذا الكتاب

يافا Jaffa

وفي المساء رفعت السفينة مرساها وسارت قاصدة مدينة يافا والمسافة بينها وبين حيفا نحو ٦٠ ميلاً وكان البحر هادئاً والجو صافياً فاخذ النساء اللواتي كنَّ برفقتنا بترتيل « صلاة المريما » باصوات رخيمة وبعدها ارتفعت اصوات الاغاني المختلفة فبعضهم على (العتابا) واخرون على (الميجانا) وغيرهم على (البغدادي) والبحارة يتغنون باناشيدهم وكل يغني على ليلاه ٠٠ وكان مع احد الركاب « فونوغراف » اطرب الركاب فوجدوا به بعض السلوى على فراق الآل والوطن وصباح الاثنين في ٢٦ منه وصلنا الى مينا يافا وسرحنا الطرف في بناياتها وبساتينها الكثيرة وتسمى « بيارات » من عن ظهر الباخرة ولم ننزل اليها لاضطراب البحر وهياج الامواج فحبذا لو كان لها مرفأ كمرفا مدينة بيروت يقي الركاب من اخطار البحر فان المسافرين ترتعد فرائصهم من مجرد النظر الى ميناهـا وقد افادنا احد الاعيان عن الحوادث التي لا يخلو منها اسبوع واحد الى ان قال وندر من ينجو من رشق سهام الامواج عند عبوره من السفينة الى المدينة وهذه المدينة ذات حدائق وبساتين كثيرة ولها علاقات تجارية مع اكثر مدن اوروبا وهي مفتاح القدس الشريف « اورشليم » المدينة المقدسة التي تم فيها سر الافتداء العظيم وبين المدينتين قطار بخاري يركبه السياح وكل قادم للاتجار او لزيارة الاماكن المقدسة من كل اقطار العالم ومدينة يافا قديمة العهد وقد ورد ذكرها كثيراً في الكتاب المقدس وفيها احيا القديس بطرس الرسول التلميذة « طابيثا » ظبية ١ ع ص ٩ عدد ٣٦ وسكانها يزيدون عن ٦٠ الفاً وقد اشتهرت بثباتها في وجه نابوليون سنة ١٧٩٩ يوم اباد الطاعون جنوده

بورت سعيد Port Said

ونحو الساعة الرابعة بعد الظهر مخرت بنا السفينة الى مدينة بورت سعيد والمسافة بين هذه المدينة ويافا ١٠٦ اميال بحرية فوصلنا نحو الساعة الرابعة صباحاً وعند دخولنا الى مرفائها شاهدنا عن اليمين تمثال الشهير ديلسبس Delesseps الفرنساوي فاتح ترعة السويس التي أُنفق عليها مليون واربعماية الف ليرا انكليزية ودشنها الخديوي اسماعيل باشا سنة ١٨٦٩ م وعاينا عشرات من المنائر الصغيرة فضلاً عن المنارة الكبيرة البديعة وكذلك السفن التي تنزع الرمل من المرفا ومن الترعة لتجعل العمق فيهما صالحاً لرسو وسير السفن الكبيرة ويسمونها هنا «كركات» ولعلها محرفة عن دراكات Dragues وهو الاصح لان كركات جمع كركة آلة معروفة عند السوريين لتقطير الماء ونحوها Alambic بعكس دراكات فانها بالافرنسية تفيد المعنى المطلوب من عمل هذه السفن . وقد شاهدنا من اتقان الابنية واتساع الطرقات وكثرة الاشجار المغروسة على جوانبها وازدحام الغرباء الى غير ذلك من ادلة الحضارة والتقدم ما جعلنا ان نغبط المدينة والساكنين فيها وهي كما لا يخفى حديثة النشأة تكاد لا تتجاوز الاربعين سنة منذ وجودها على الارض وسكانها يزيدون عن الاربعين الف نفس فودعناها متمنين لها مزيد التقدم والنجاح

الاسكندرية Alexandrie

في المساء سارت بنا الباخرة الى مدينة الاسكندرية وبعدها عن بورت سعيد كبعد بورت سعيد عن يافا فدخلناها في صباح ٢٨ حزيران وهي واقعة على مصب النيل الغربي وظهر لنا رصيفها الكبير ومرفاؤها الواسع فسررنا بما رأيناه من الاشغال

والحركة التجارية فالسفن البخارية لا تنقص عن الخمسين فضلاً عن السفن الشراعية اما العربات فتعد بالالوف ولكل حوذي (عربجي) نمرة خصوصية يعلقها على صدره وتعريف في عربته . والقطر الكهربائية تخترق المدينة الى كل جهاتها ولا يكون بين القطار والآخر اكثر من خمس دقائق اما محلة المكس عن يمين الداخل والرمل ويسمى « سان استيفانو » وهو الى الشمال الغربي فهما المتنزهان المشهوران فيها وقد زرنا الرمل اثناء طوافنا في المدينة فرأينا انه لا ينقصه الا الاشجار والمياه ليكون مستكملاً شروط النزهة جديراً بالذكر كمتنزه ظبية في لبنان وطرقات هذه المدينة بعضها مرصوف بالبلاط رصفاً متيناً وبعضها بالاسفلت واكثرها رحبة متقنة تسير فيها العربات على كثرتها والقطر على اختلافها فلا تزعج المارين والكهربائية في هذه المدينة شان عظيم فقد لا تجد مكاناً خالياً من نورها وفي بعض شوارعها المهمة مصابيح كبيرة تفضح الظلام وتعيد اليها نور النهار البهي الا ان السكان يشكون من رطوبة جوها الشديدة ويرى الداخل اليها في « المنشية » تمثال الشهير محمد علي باشا الذي خلص البلاد المصرية من استبداد المماليك راكباً على جواده وهو مؤسس الاسرة الخديوية والقطر المصري يحتوي على نيف وتسعة ملايين من السكان والبلاد المصرية بلاد ذاهبة في معارج النماء فقد افادني احد العارفين بها ان سكانها يزدادون نحو ٢٥٠٠ في كل شهر من المهاجرين اليها وقدرنا ان عدد سكان الاسكندرية يقارب الاربعماية الف نفس

وقد رأينا من تحفظات مصلحة الصحة واسباب الوقاية من الطاعون (الوهمي) ما جعلنا ان نأسف على هذه المعاملة فهم يمنعون المسافر من النزول الى المدينة قبل سفر السفينة بنصف نهار على انهم يسمحون لابناء الوطن ان يروحوا ويعودوا احراراً من الباخرة واليها كأن المسافرين هم وحدهم المختصون (بمكروب) هذا الطاعون فيحظر عليهم الذهاب الى المدينة خوف ان تسري عدواهم الى اهالي القطر (السليم) والطبيب المرسل من قِبل مصلحة الصحة بفحص الركاب السلماء من الطاعون ذكرني بقول القائل

طبيبٌ يداوي الناس وهو عليلُ

واغرب من كل ما ذكر انهم لا يعاملون هذه المعاملة الخشنة سوى ركاب

الدرجة الثالثة فقط فكأن عدوى الطاعون لا تسري الى سواهم او ان ركاب الدرجتين الاولى والثانية والربان والبحارة احمي من ان تصيبهم العدوى او ان اولئك هم المغضوب عليهم اينما كانوا

وقد رأيت في هذين اليومين من بعض ابناء الوطن العزيز رفقائنا اموراً سيئة واعمالاً ذميمة والشهادة للحق تدعوني لتسطير ما سمعته وما اراه الان بأم عيني فاحدى المهاجرات (خفيةً) سقط طفلها من عن يمينها الى البحر اثناء هربها من الزورق الى الباخرة واختنق ومات فلم تلتفت اليه وتركته وفازت بنفسها الى اميركا (وخلت ام علي تندب على علي) واخرى وهي برفقتنا تركت طفلها دون الفطام وغيرها جاءت حاملاً فوضعت قبل وصولها فانظر حنان بعض الوالدات وتأمل عواطف هذه الامهات اللواتي تجل عنهنَّ الوحوش الكاسرة

مسينا Messine

يوم الخميس في ٢٩ حزيران سارت بنا الباخرة سينغابور Singapoure الايطالية من بواخر الشركة المذكورة الساعة الثالثة بعد الظهر قاصدة مسينا التي تبعد عن الاسكندرية نحو ٧٤٨ ميلاً والميل البحري عبارة عن ١٨٥٢ متراً فودعنا المدينة وضواحيها وضفاف النيل المخصبة فيها وكانت الباخرة تقطع بنا نحو ١٣ ميلاً في الساعة وصباح الاحد قبيل الفجر ظهر لنا عن اليمين الجبال الايطالية وفيها مدن كالابريا Calabre التي يسكنها نحو مليون ونصف من الناس فدخلنا بين جبلين فيهما المدن والمزارع العديدة والقطر الحديدية تخترق الجبال والهضاب فبدا لنا مدينة جميلة تسمى ريجيو Reggio مبنية على طرز حديث بين الاشجار الغضة وهي عاصمة كالابريا وسكانها ٢١ الفاً وبعدها مدينة اخرى تدعى مدينة القديس يوحنا وهكذا لم نزل نودع مدينة ونستقبل اخرى والسفينة تسير بنا الهوينا الى جهة الشمال الغربية حتى انتهينا الى مضيق بين هذين الجبلين فتجلت لنا مدينة

مسينا وهي مدينة جميلة جداً واقعة في المضيق المشهور باسمها « مضيق مسينا » بناياتها فخيمة وفيها نحو ١٥٠ الفاً من السكان . والقطر الحديدية البخارية تخترق طرقاتها الواسعة ومعظم ابنيتها على الرصيف صفاً واحداً من اليمين الى اخر يسار المدينة وفي الجهة اليسارية قلعة كبيرة والجبل القائم وراءها اشبه جبل لبنان في مركزه بالقرب من المدينة وارتفاعه فوقها وان يكن ينحط عن لبنان بجودة هوائه وعذوبة مائه اما منارتها فانها جميلة جداً ومن اشهر المنائر في العالم وفي الميناء بضع نسافات لحماية المدينة وعدد ليس بيسير من السفن البخارية والشراعية وقد طفنا في شوارع المدينة فسررنا من ابنيتها ومناظرها البديعة وطرقاتها الرحبة ولا سيما من بستانها البحري الجميل فهو تحفة المدينة يجعلها تزهر بازهاره وتقمر باقماره وهذا البستان وحده ينار بالكهربائية اما المدينة فتنار بالغاز وفيه تصدح الموسيقى العسكرية مساء كل يوم وطرقاتها مبلطة حسناً وفي هذه المدينة حدائق غنـاء والعربات فيها كثيرة وشروط الراحة واسباب الرفاهية متوفرة لكل مسافر و بلغنا انه يوجد نحو ٤٠ نفساً من الروم الارثوذكس لهم فيها كنيسة و يقوم بخدمتهم الروحية ارشمندريتي من قبل حضرة ملك اليونان وهذه المدينة هي موطن غاريبلدي Garibaldi الشهير بطل القرن التاسع عشر الايطالي الذي خدم بلاده بمساعدة الوزير كافور بعد ان كانت مقتسمة بين الدول والايطاليان يفتخرون به و يلقبون كل من تبدو عليه اثار الشجاعة بغاريبلدي تنشيطاً له ولامثاله وهذه المدينة قديمة العهد وكانت تدعى قبلاً زانكل Zancle وفي سنة ٤٥٣ ق.م جاء اليها مهاجرو اليونان من الموره وسكنوا فيها وسموها مسينا وكانوا وقتئذٍ فارين من الامبرطيين الالى حاربوهم ثلاث مرات واستعبدوهم اخيراً

وكما ان راس بيروت يشبه لساناً يمتد في البحر فهذه لها البحر لسان وهي تحيطه من كل جانب خلا جهة الشمال الشرقية فهي مدخل المدينة وفي الساعة الثانية عشرة تطلق القلعة طلقاً كبيراً ايذاناً بحلول نصف النهار وهكذا في كل المدن الايطالية المهمة والسيدات فيها عاملات مع الرجال في الحانات والمطاعم والمعامل وكلهن بملابس بسيطة ومرتبة كانهن تركن الازياء وزوائدها والتبرج وانواعه ... للسيدات السوريات (حيث الموضة قائمة على حيلها)

نابولي Naples

نحو الساعة السادسة ونصف رفعت السفينة مرساتها وسارت الى الشمال الشرقي قاصدة نابولي وبعدها عن مسينا نحو ١٤٧ ميلاً وفي الساعة السابعة صباحاً دخلنا بين جبلين هما جزيرتان وفيهما المزارع الكثيرة وعلى احدهما بناية في راس قمة تناطح السحاب ومن ثم نظرنا عن اليمين البركان (جبل النار) المسمى فيزوف Vésuve وهو الى الجهة الشرقية عن مدينة نابولي ويبعد عنها ٨ كيلومترات ورأينا في الجهة الشمالية جزيرة تسمى « ايزولا دي كابري » وهي تؤلف من ثلاث مدن اولاها تسمى جزيرة « فافينا » والثانية « لاميديسو » والثالثة وهي اصغرها تدعى « مونتي دي فروسيتو » فهذه الجزائر الثلاث مناظرها بديعة واشجارها كثيرة وهي تعلو عن سطح البحر علواً شاهقاً اما البركان المذكور فيتصاعد منه الدخان كثيفاً كانه مجتمع سفن بحارية يتطاير بخارها وله اوقات غير معينة يثور فيها ثوراناً عظيماً فيقذف بالحمم النارية الى اماكن بعيدة ويحرق كل ما جاوره ولذلك ترى ارضه بلقعاً واهم ما جاء في تاريخه انه طمر في ثورانه العظيم سنة ٧٩ م هيرقولانم Herculanum وبومبي Pompéi القريبتين منه في عهد تيطس قيصر فبقيت الاولى منهما في عالم الخفاء الى سنة ١٧١٣ م حيث اكتشفت اطلالها الدارسة وبني مكانها مدينة اخرى دعيت بورتيسي Portici والثانية وهي « بومبي » لبثت كذلك الى سنة ١٧٥٥ م الا ان هذا الاختفاء كأنه لم يكن الا تحجباً فلم يؤثر بها فظهرت كانها لم تكن طي الخفاء قروناً عديدة وهي محفوظة سالمة من كل بوار والبركان المذكور يظهر في النهار كأنه مدخنة كما قلنا يتصاعد منها الدخان وفي الليل كأنه اتون نار يتقد ويقذف من حين الى آخر جمراً مستعراً من فوهته وبعده ظهرت لنا مدينة نابولي وهي اعظم المدن الايطالية ففيها نحو ٧٥٠ الفاً من السكان وتشغل مساحة كبيرة يسير فيها القطار الكهربائي طويلاً من اولها الى آخرها وعاينا فيها عن بعد السراي الملوكية والمصالح

العديدة والكنائس البديعة وهذه المدينة تبعد عن رومية عاصمة ايطاليا ٢١٥ كيلومترًا وعن باريس ١٧٢٣ كيلومترًا ومذ القت السفينة مرساتها نزلنا الى المدينة وطفنا في شوارعها فانتهينا الى بنايتي البورصه Bourse والتليفون Téléphone فاعجبنا بها كل الاعجاب لانها مستكملة شروط الاتقان والهندسة

دار التحف Musée

وما لبثنا ان ذهبنا الى متحفها الشهير فدخلنا بعد دفع الرسم (فرنك واحد) وهناك حارت الابصار وكدنا لا نصدق ما نراه انه من صنع الانسان ففيه الاثار القديمة من الرخام والمرمر والنحاس تماثيل تأخذ بمجامع الفؤاد فمنها ايطالية ومنها يونانية ومنها مصرية وفينيقية وفيه ايضًا من المومياء المصرية شيء كثير ومن النقود القديمة المختلفة وغيرها مما يستغرق النظر والداخل الى هذا المتحف لو بقي النهار بتمامه لما مل من الوقوف بين جدرانه امام هذه الاثار المأثورة ففي طبقته الاولى رأينا تماثيل الرخام والنحاس البديعة واجملها صنعًا واتقانًا تمثالا « هرقل . وثور فرنز » لانهما والحق يقال من ابدع ما حفرت يد الصناع اليونانيين وشاهدنا في هذه الطبقة نفسها القوارير الخزفية والاواني الزجاجية و ينتهي عهد استعمالها الى بضعة الاف من السنين وعددها يربو على الخمسة الاف وقيل لنا انها تفضل امثالها في سائر متاحف المعمور

اما الطبقة الثانية ففيها صور عديدة واكثرها لاشهر المصورين الذين نبغوا في هذا الفن وهي تمثل بعض حوادث الكتاب المقدس في العهدين القديم والجديد وكلها تستلفت النظر ولا سيما صورة السيد المسيح مخاطبًا السامرية للمصور « فنتانا » ومما يزيد في مقدار هذا المتحف بل المتاحف بعض الاثار المستخرجة من مدينتي (بومبي : وهيرقولانم) اللتين طمرهما البركان (فيزوف) كما ذكرنا فمن

هذه الاثار صورة كانت مرسومة على احد الجدران وهي الآن في ارض المتحف الى يسار الداخل محاطة بدرابزين من الحديد يمثل حرباً عواناً بين فرسان راكبين الجياد شاكي السلاح وهو في غاية الاتقان وما يجعل هذا الرسم ممتازاً على سواه انه كائن من حصى صغيرة بحجم السمسمة مختلفة الالوان طبيعية فيخالها الناظر اولاً انها رسم قلم ولكن متى اقترب منها وامعن النظر يرى الدقائق الصغيرة التي تكوّن منها هذا الرسم الفريد الشائق ·

وعلمنا ان في دار المسكوكات (وقد كانت مقفلة ساعة زيارتنا للمتحف) نحو ٥٠ الف قطعة من النقود القديمة العهد

ومن ثم مررنا بآنسة ايطالية تشتغل برسم يمثل غادة هيفاء القوام وكانت عند وصولنا قاربت النهاية فنظرنا الى الرسم واذا به من اجمل ما وقع عليه النظر فالتفتت الينا وكانها علمت اننا اعجبنا ببراعتها فاسرعت والبست بقلمها معصمي الرسم سوارين بلون الذهب فقلنا :

خافت على يدها من نبل اعيننا

فالبست زندها درعاً من الذهب

والرسم كما ذكرت يمثل آنسة بديعة الجمال ملتحفة بوشاح فضي كأنها طائرة في الهواء وممسكة بيديها اكليل زهر كاد يفوح عرفهُ ذكياً لولا رهبة الطبيعة

اما كنائسها فهي في غاية العظمة وفخامة البناء واشهرها كنيسة « جانو بارو » ولهم فيها روايات غريبة ولقد شاقنا حوض العماد فيها فانه مصنوع من حجر اليشب Jaspe الثمين تبدو عليه صور نائتة وثنية اما اعمدتها فكثيرة

وبعدها كنيسة « سان كارلو » فان فيها من الطبقات (لوجات) المحيطة بها في الداخل ومن النقوش البديعة والزخارف والمصابيح الكهربائية شيء كثير وفي قبتها الكبيرة رسوم بديعة الا انها ليست صور سيدية او رسوم قديسين وانما هي لمينرفا Minerve الاهة الحكمة عند اليونان ولدانتي Danti Alighierie من اكبر شعراء الايطاليان (ولد عام ١٢٦٥ ومات سنة ١٣٢٥) واشهر مؤلفاته

كتابه المعروف بالكوميديا الالهية Divine comédie وموطنه فلورنسا Florence التي يسكنها نحو ١٧٠ الفاً من البشر وهي تبعد عن رومية عاصمة ايطاليا ٣٢٠ كيلومتراً وعن باريس ٨٥٠ كيلومتراً وتدعى مهد العلوم والمعارف في ايطاليا وهي موطن بترارك Pétrarque الشهير احد واضعي اللغة الايطالية المتفنن البليغ في النظم والخطابة والايطاليان مديونون له بالفضل الادبي ولد سنة ١٣٠٤ ومات سنة ١٣٧٤ وموطن البابا لاون العاشر ابن لوران المشهور بانحيازه الى شارلكان (كارلوس الخامس) ضد فرنسا والموقع صك التحكيم الكنائسي (كونكورداتو) مع فرنسوا الاول عام ١٥١٧ وحبذا لو زينوا كنيسة برسوم المشاهير من ابنائها القديسين وفي هذه المدينة مكان هو من الشهرة والجمال والفخامة ودقة العمل بمكان وهو الكاليري Galerie فهو والحق يقال تحفة المدينة ومثال التفنن الغريب في الهندسة وقال لي احد رفقائي انه فريد ولا يوجد احسن منه حتى في باريس نفسها فقد عاينا فيه من الاتقان والابداع وجمال الصنعة واحكام البناء الى غير ذلك من المهارة في هذا الفن ما لم يبقَ معه زيادة لمستزيد فقلنا على كل ما رأينا من الاماكن السلام وقفلنا راجعين خوف ان نضيع وقتنا القصير فان في الاماكن التي شاهدناها كفاية على ان القيام بوصفها وصفاً دقيقاً يعز على فحول الكتبة في وقت وجيز ولذا فقد اقتصرنا على التلميح فان فيه غنى لكل لبيب

ومررنا من ثم بتمثال كبير من النحاس للملك فيكتور عمانوئيل الثاني ملك ايطاليا وجدّ الملك الحالي راكباً جواده وهو يضارع تمثال محمد علي باشا في الاسكندرية

اما العربات والحوافل (اومنيبوس) والقطارات البخارية والكهربائية فهي عديدة تكاد لا تحصى وفي غاية الانتظام والمتانة والاتقان والمدينة مرصوفة بالبلاط في كل جهاتها والكهربائية تجعل ظلامها ضياء ففي كل مكان ولو حقيراً تجد عدداً عديداً من المصابيح الكبيرة (كلوب) وقد رجعنا الى السفينة قبل سفرها بساعتين لاننا لم نعد قادرين على احتمال الحرّ الذي لا يطاق فانه كان شديداً وبلغ الدرجة الـ ٣٥ وما ذلك الا من فضل (فيزوف) جارها الذي يعطيها من حرّ قلبه مؤونة

الشتاء والصيف معاً فاذا كنا نغبط المدينة على حضارتها وتجارتها فاننا لا نحسدها على جواره

ثمارها • ذقنا من ثمارها التين والمشمش والاجاص والكرز والعنب فلم نستحسن الا الاخيرين ومررنا ايضاً بكنيسة القديس يوحنا فشاهدنا فيها من الرسوم والزخارف والمرمر الذي نقل اليها من هيكل ابولون شيئاً كثيراً وثميناً وقلاع هذه المدينة عديدة وحصينة وشاهدنا في المعمل الحربي دارعة لم يتم بناؤها بعد وقد بوشر به منذ سنتين

ليڤورنو Livourne

في الساعة السابعة من مساء الاثنين الواقع في ٣ تموز سارت السفينة الى الجهة الغربية قاصدة ليڤورنو وبعدها عن نابولي نحو ٢٣٠ ميلاً فمررنا بالمنارة القائمة الى الجنوب الغربي وبمزرعة جميلة على الشاطئ، تدعى «ايزكيا» وعند الصباح شاهدنا جزيرة كروسيتا عن اليمين حتى كانت طريقنا غاصة بالدساكر العديدة وعن اليسار جبال عظيمة وكلها خضراء دلالة على اجتهاد الزراع وامامها عن اليمين جزيرة ذكرتني بمنظر جبل الطور الواقع في فلسطين (هذا الذي تجلى عليه السيد المسيح وهو يبعد عن الناصرة بضع ساعات) لانها تشبهه تماماً وفي كل هذه الجبال والمزارع منائر عديدة وقد لا يجد الانسان فيها ارضاً بوراً ومررنا من ثم بمدينة بومبينو Bombino وشاهدنا فيها عن بعد تطاير الابخرة من معامل عديدة فادركنا ان المدينة ذات معامل واشغال تجارية مهمة ولوكان سكانها لا يفوقون الخمسة الاف ويوم الثلثا في ٤ تموز الساعة ٤ بعد الظهر القت الباخرة مرساتها في مدينة ليڤورنو فاذا مدخلها اشبه شيء بمدخل بيروت ولها لسان كراس بيروت يقطع البحر الى مسافة بعيدة وقبل الوصول اليها ترى المغروسات الكثيرة التي تذكر

الرائي بصحراء الشويفات وفي هذه المدينة طرادان من الطرز الحديث يسمى احدهما شارل البرت Charles-Albert (اسم ملك سردينيا من سنة ١٧٣١ الى سنة ١٨٤٩) والثاني داندولو Dandolo لقب دوق فينيسا من سنة ١١٩٢ الى سنة ١٢٠٤ وعلى كل منهما محطة للتلغراف اللاسلكي الحديث اختراع مركوني ومن هذه المدينة يرد اكثر الرخام الى سوريا وغيرها اما اثمارها فكثيرة وكلها جيدة ولا سيما الكستنا فانه غاية في الجودة وفي بعض مدن سوريا يقول الباعة (مال ليكورنو يا كستنا) والمدينة تقارب مدينة مسينا بعدد الانفس الا ان الاولى اهم من الثانية في الصنائع والتجارة و بلغنا من مصدر ثقة ان نساء هذه المدينة على جانب عظيم من الجمال و يفقن كل نساء ايطاليا حسناً وقد استدللنا ان المدينة في ايطاليا كالحصيب في اليمين وفي تلك الليلة رأينا الهلال مهرولاً في مسيره الى الغروب عملاً بقول بعضهم

واذا دخلت ارض الحصيب فهرول أسرع في مرورك لئلا تفتنك نساؤه بجمالها

ولهذه المدينة مدخلان فسيحان احدهما عن اليمين والآخر عن اليسار وفيها تمثال عظيم لكارلوس الخامس قابضاً على اربعة زنوج وخانقاً اياهم ويسمى « مونيمانتي دي كواتري موري » اعني تمثال الزنوج الاربعة ومنائرها كلها جميلة واكثرها تشبه منارة بيروت ومرفأها فسيح و يشوق الناظر ومعاملها (فابريكات) يتصاعد دخانها الى السماء وكلها السنة تنطق بمجد ابناء البلاد وكدهم في سبيل ترويج الصنائع والفنون ومناظر المدينة شائقة فكأنها استعارت سناء الطلعة من غوانيها فلبست من الجمال ثوباً قشيباً وفيها المعمل الكبير لبناء السفن الحربية ويسمى « اورلاندو » واحدى منائر المدينة القائمة فوق السور تشبه منارة مدينة عكا ولها غير ما ذكرنا مرفأ بديع تمخر السفن فيه الى منتصف المدينة وقد رأينا فيها من المنائر والمرافىء الكثيرة ما لم نره في غيرها وهواء المدينة بليل انسانا ما كابدناه امس من شدة الحر في نابولي والفحص الطبي يجري على كل الركاب بالسواء وليس على ركاب الدرجة الثالثة فقط كما في الاسكندرية و بعد الغروب لبست المدينة

حللاً من النور ذهبية تعيد اليها نور النهار السني

جنوا Gênes

عند الساعة العاشرة ليلاً رفعت السفينة مرساتها وسارت الى مدينه جنوا والمسافة بينها و بين ليفورنو ٧٦ ميلاً فوصلنا صباح الاربعا اليها فبدت لعيوننا هذه المدينة بمطارفها السندسية وابنيتها الفخيمة وقصورها الشاهقة وشاهدنا في مينائها السفن البخارية الكبيرة وحركتها البحرية تقارب حركة مدينة مرسيليا الشهيرة وهي (جنوا) مبنية في سفح جبل وفيها نحو ٣٥٠ الفاً من السكان الا ان الغرباء فيها كثيرون و يقدرون بضعة الاف اما بناوءها فقدتم من الليكوريين (سكان ذلك الاقليم نحو سنة ٧٠٧ ق م استولى عليها كارلوس السادس ملك فرنسا وكارلوس السابع من سنة ١٤٦١ وسقطت في قبضة لويس الثاني عشر من سنة ١٤٩٩ الى سنة ١٤١٢ وامتلكها الفرنساويون ثانية في ٢٤ حزيران سنة ١٨٠٠ وفي سنة ١٨١٤ اخذها ملك سردينيا واليوم هي ايطالية

وكان قد ركب السفينة برفقتنا من ليفورنو ٣٥٠ تلميذاً هم تلامذة مدرسة « دومبسكو » في جنوا وهذه المدرسة هي عملية صناعية تؤهل التلامذة المتخرجين فيها لان يدخلوا اما في خدمة الحكومة او في الصنائع التي يأخذونها عنها وفي هذه المدينة القلاع العظيمة والمدافع الكبيرة والارصفة الواسعة الارجاء عليها تلال من الفحم الحجري ولها قلعة شاهقة في راس الجبل تكاد تطاول السماك . والداخل الى مرفأها يضيق صدره من كثرة البخار المتصاعد من السفن فالواقف في المينا يحسب نفسه في بستان كثير الاشجار هي صواري السفن العديدة الراسية فضلاً عن السفن البخارية الصغيرة التي تمخر ذهاباً واياباً عشرات عشرات ولا غرو فان جنوا هي اعظم مدينة ايطالية بحركتها البحرية الشهيرة ولسوف تذهب في ميدان التقدم

والحضارة شوطاً ابعد من شوطها الحالي و بعد خروجنا الى المدينة قابلنا ميشال افندي لطفي السوري ترجمان قنصل دولتنا العلية العثمانية ووكيل ابناء العرب المهاجرين وقد رأينا فيه فتى دمث الاخلاق لين العريكة بشوش الوجه رحب الصدر يحسن التكلم باللغات العربية والروسية والافرنسية والايطالية وله المام في غيرها فاثنينا عليه لترحيبه بابناء وطنه ومعاملته اياهم معاملة اخاء ومحبة . ولما طفنا في المدينة انتهينا الى التمثال العظيم الذي نصبه مجلس بلدية جنوا لابن وطنهم المكتشف الشهير خريسطوفورس كولمبوس Christophe Colomb الذي اكتشف اميركا سنة ١٤٩٢ وهو من الحجر الابيض ويمثل خريسطوفورس متكئاً على مرساة وتحت هذا التمثال ايضاً اربعة نائتة من جدار التمثال وفيها رموز لاشهر اعماله في هذا الاكتشاف وقد حسده احد السفار المسمى اميريك فيسبوس Americ Vespuce (هذا ولد في فلورنسا سنة ١٤٤١ ومات سنة ١٥١٢) فبدا له ان ينزع عن كولومبوس فخر هذا الاكتشاف العظيم فادعى انه هو مكتشف تلك البلاد وسماها باسمه الى اليوم الا ان هذا الادعاء لم ينقص من فضل خريستوفورس المذكور الذي نصب له تماثيل كثيرة في كل انحاء ايطاليا واميركا اعترافاً بفضله العظيم وعلى احدها في اميركا نقش ابيات شعرية في اكثر اللغات ومنها بيتان في اللغة العربية لاحد فضلاء بيروت وهما :

لو كنت اقدر ان اعاقب ابحراً
قاسى بها كولمبسُ الاهوالا

لنزعت منها دُرَّها وجعلتهُ
فوق الضريح لمجده تمثالا

الا ان ايطاليا لم تفز منه بامتياز هذا الاكتشاف لانها لم تمد اليه يد المساعدة ولذا فقد قدمه لايزابل ملكة اسبانيا التي امدته بكل شيء . وهكذا بقيت اميركا اسبانية الى اواسط الجيل الثامن عشر حيث اتحدت ولاياتها الى بعضها واطلق عليها منذ ذاك الحين الولايات المتحدة وكان الجنرال واشنطون اول رئيس لجمهوريتها (هذا ولد سنة ١٧٣٢ ومات سنة ١٧٩٩) و باسمه سميت مدينة واشنطون عاصمة الجمهورية هذا فيما يتعلق باميركا الشمالية اما اميركا الجنوبية (البرازيل) فلا

خلاف في ان مكتشفها الفاريس كابرال Alvarés Cabral احد البحار البورتوغاليين في سنة ١٥٠٠

مررنا في جنوا بكنيسة السيدة (لامادونا) عم فدخلناها فرأينا فيها كثيراً من اعمدة المرمر ونظرنا سقفها مزين بابدع الرسوم ومحلى بالذهب من كل جهاته حتى ان الناظر اليه يظن ان الصاغة افرغوا ذهبهم كله في سقفها

ومن اجمل التماثيل وادقها صنعاً تمثال الدوق « دي كاليبرا » الذي منح في حياته اربعين مليون فرنك لبناء مينا جنوا فاصبحت المدينة تزاحم المدن العظيمة بتجارتها وحركتها البحرية فهكذا تكون الوطنية وهكذا تكون الاريحية فكما ان خريسطوفوروس كان شرفاً لمدينته تفتخر به دائماً وكفاها فخراً انها ام لرجل عظيم طبق ذكره الخافقين هكذا الدوق جعلها بهبته الحاتمية ان تصير من المدن البحرية الشهيرة وسهل لها وسائل النجاح والتقدم في مناهج الحضارة والعمران . والايطاليان يلقبون ببني جساس ادعاء ان اولاد جساس بن مرة هاجروا الى ايطاليا ومنهم كثر نسل الايطاليان ولذلك يدعونهم بني جساس و بالايطالية Carcamano كركامانو وفي البرازيل يسمونهم بني كركامان ... والايطاليان لينو العريكة لطفاء ولا سيما المتخرجين منهم اما السوقة ففيهم كثيرون يشبهون (زعران مصر) وكثيرون منهم يطمحون الى المهاجرة ففي كل اسبوع يهاجر منهم بضعة الاف ويعود مثلها واكثرهم يشتغلون في استغلال الاراضي ولذا ترى المثرين بين من هاجروا منهم كثيرين لانهم يعرفون من اين تؤكل الكتف . بعكس السوريين الذين يأنفون من الاشتغال في الارض وروي لي ان احد الاغنياء من السوريين في البرازيل قدم قطعة ارض كبيرة لتستثمرها عائلة سورية كانت تتضور جوعاً فقال رب هذه العائلة خير لنا ان نموت كلنا من ان نشتغل بالزراعة في اميركا

مدافن جنوا

يوم الجمعة في ٧ تموز ركبنا القطار الكهربائي وذهبنا الى مدافن جنوا الشهيرة

التي لامثيل لها في العالم وكان في النية ان نفرد باباً نتكلم فيه عن الرسوم الممتازة فيها ولكن لما دخلنا راينا الرسوم والتماثيل والزخارف والاكاليل والاعمدة وكل ما هنالك من الرخام والمرمر والنحاس ممتازة فلم نستطع ان نفضل تمثالاً على اخر باتقان الصناعة ودقة العمل فكلها في غاية الاتقان والابداع تسحر الالباب وتدهش الابصار كلها يخالها الناظر حية ويحسب الرسم حقيقة والاثر عيناً فكانها بشر تكاد تتكلم ولا سيما تماثيل الملائكة والرجال والاطفال والنسا الواقفين والراكبين ٠٠ فمنهم بملابس الابطال ومنهم بالملابس البسيطة ٠٠ كل هذه الاثار تفتن الناظر وتجعله يلمس بعضها ظناً منه انهـا حقيقة لا اثر ٠٠٠ وانهـا حية ذوات ارواح لامحالة ٠٠٠ فهناك منتهى الاتقان ولابداع ٠٠ هناك كل المهارة والتفنن ٠٠٠ هناك ادق ما وصلت اليه يد الصناع من الصناعة البالغة الحد ٠ لا ينتهي الناظر من مشاهدة اثر ويلتفت الى غيره حتى يكون قد نسي الاثر الاول ٠٠ ذلك مايجعلها خيرة التحف والطرف ٠٠ فلكل رسم هيأة خاصة ورمز خاص وما يزيدها كلها جمالاً ويزينها رونقاً وبهاء لمعان الرخام ونعومته فـلا يشك الرائي بكونه من الاطلس الابيض النقي ولا سيما الاوشحة والصدرات والعقد وغيرها ٠٠٠ فاذا قلنا ان هذه المدافن فريدة لا شبيه لها في الكرة الارضية فان كلامنا تحصيل حاصل ولذا فليعلم كل من يزور هذه المدينة ان عليه زيارة هذه المدافن البديعة بل القصور الفخيمة التي تعد درة في تاج الصناعة العصرية وقلادة لنحر التحف والطرف الابطالية ٠

اما هواء هذه المدينة فهو نقي وماؤها عذب ومناظرها الطبيعية ورياضها في منتهى الجمال واجراس كنائسها تقرع ليل نهار وعلى كل قادم اليها ان ياخذ من متاعه الى النزل (لوكندة) ما يحتاج اليه ويسلم صندوقه وامتعته الى ادارة الجمرك فتبقى محفوظة فيه الى يوم سفره وميشال افندي لطفي يفيد الركاب عن كل شي فيكفيهم موءونة الاستفهام عن مواعيد اسفار السفن والمدن التي تمر بها والمسافة و ٠٠ و ٠٠٠ الخ وهذه نعمة تذكر يحصل عليها المسافر بلا عناء ولا بدل وشركة البواخر تقدم لكل مسافر مكاناً للنزول فيه على نفقتها ولكن على المسافرين ان لا يمسوا المصابيح الغازية التي تستعمل لانارة الاماكن لان اكثرهم يجهلون طريقة استعمالها فيفتحون المجرى الغازي وهم لا يعلمون ما ينجم عنه من الاضرار ولا سيما اذا اغلقوا

النوافذ كلها وناموا في الحجرة آمنين ففي الصباح لا يكون منهم احد حيًا ...
وفي اليوم نفسه رُوي لنا ان ستة من جاهلي استعماله فتحوا الانبوبة الغازية
وناموا مطمانين بعد ان اقفلوا كل النوافذ فكانوا في صبيحة اليوم التالي جثثًا هامدة
فليتنبه الغافلون ...

اما المتنزهات في جنوا فانها كثيرة وفي باحاتها التماثيل العديدة والمياه تتدفق
بغزارة في احواضها و يحيط بهذه المتنزهات المقاعد من كل جانب لراحة الناس
وسرورهم وفي كل دكان يباع فيه (الدخان) يباع فيه ايضًا طوابع البريد فيكتفي
المرء عناء الذهاب الى الادارة لان صناديق البريد موجودة في كل الاحياء
والشوارع وهكذا في كل المدن الايطالية وغيرها · وعلى رصيف المرفا بضع عشرات
من الآلات الرافعة التي تنقل البضائع ونحوها من القطر البخارية الى السفن
و بالعكس · وهذه مواعيد اسفار البواخر من جنوا الى اميركا والاسكندرية
و بورت سعيد و بيروت

من جنوا الى الاسكندرية و بيروت راسًا كل ١٥ يومًا مرة واحدة و بالعكس
من بيروت الى جنوا

من جنوا الى الاسكندرية و بورت سعيد و بيروت بالانتقال من سفينة الى
اخرى كل اسبوع مرة و بالعكس من بيروت الى جنوا بالانتقال ايضًا

من جنوا الى ازمير ومنها الى بيروت كل عشرة ايام مرة بالانتقال و بالعكس
من بيروت الى جنوا

من جنوا الى منتفيديو و بونس ايرس كل اسبوع مرتين

من جنوا الى نيويرك كل اسبوع مرتين

من جنوا الى ريو دي جانيرو وسانتوس كل اسبوع مرة

من جنوا الى اميركا المتوسطة مثل كوايرا و كوراسو و بورت كابللو و كولون
كل اول شهر مرة

وكنا نود لو يتيسر لنا زيارة المكان المحتوي على الرسوم الشائقة بقلم ذلك
المصور الايطالي الشهير رافائيل سانزيو Raphaël Sanzio الذي ابدع ابداعًا
لم يسبقه اليه مصور اخر وله فيه اثار كلها اعاجيب تستوجب دهشة الناظرين ولكن

لنكد الطالع قد عين لعرضها على انظار الزائرين يوم واحد من كل اسبوع ولم يكن هذا من الايام التي صرفناها في جنوا فسرنا ونحن اسفون على عدم مشاهدتنا اياها

ومن الطف من يروى عنه ان استاذه كان يشتغل مرة برسم احد الملوك فخرج في قضاء حاجته واوصى تلميذه رافائيل بان يحترس لئلا يقع على الرسم احد الذباب فانتهز رافائيل فرصة غياب معلمه ورسم ذبابة على خد تلك الصورة ولما دخل معلمه استشاط غيظاً وقرعه بالكلام وجاء الى الرسم ليطرد الذبابة عنه فضحك رافائيل فعلم معلمه انهُ مغرور ومنذ ذلك الوقت تفارقا

ومنه . انه كلف احد المصورين ليأتي اليه زائراً ولما وصلا امام الباب تأخر رافائيل واشار الى زميله ليدخل اولا قياماً بواجب اللياقة فهم الزائر بالدخول فاعترضه الستار المرسوم عليه مدخل بيت رافائيل فخجل الزائر واعتذر

ومنه انه مكث في احد المطاعم مدة فتقاضاه صاحب المطعم عشر ليرات فطلب صحيفة ورسم عليها العشر ليرات عمودياً فلما جاء الخادم تناولها ولم يشك بها ابداً واعطاها الى معلمه ..

وامثال هذه كثيرة مما تكاد تكون من الخرافات واكثر الصور التي رسمها موجودة في قصر الفاتيكان في رومية الا ان هذا المصور الكبير لم يعش طويلاً فقد ولد سنة ١٤٨٣ ومات سنة ١٥٢٠ ودفن في احدى كنائس رومية .

اما المأكولات في البلاد الايطالية فاسعارها مرتفعة وتساوي ضعفيها في سورية اذا لم تقل اكثر لا سيما الحلوى وما يتبعها

ربيبة جنوا

ان كنت تشكو من تباريح الجوى ... يا صاح او ممن اصيبوا بالنوى
فقم الى المينا البديع «جنوا» ... وسرح الطرف بذاك الثغر

ترى الحسان فيه كالبدور   يمشين لكن اجمل الزهور
كذاك في الحانات والجسور   وكل مطعم وكل قطرِ
فهن مرآة لكل ناظر   ونزهة لكل فكر خاطر
وآية في اللطف للمسامر   يبسمن لكن عن ثنايا درّ
يفقن بدر التم بالجمال   والغصن باللين والاعتدال
حوين لكن اشرف الخصال   فلن وايم الحق كل الشكرِ
فيهن كل غادة لبياه   رائدها العفاف لا السناه
وعيشها البسطة لا الجناه   ترعى زمام الزوج كل العمرِ
ثانية جمالها ادابها   وزينها العفاف لا ثيابها
ما غرها بزهوه شبابها   مع ان عمرها كعمر البدر
فتشغل النهار بالاعمال   وتكسب الدرهم بالحلال
تفوق بالجد على الرجال   لا تشتكي من نصب او قصرِ
انعم بها من بلدة عظيمه   تاريخها ذو شهرة قديمه
فيها قصور قد سمت فخيمه   قبابها تصفع كل قصرِ
سفنها كبيرة كثيره   اشغالها عظيمة شهيره
رياضها زهورها نضيره   تنفح كل زائر بالعطر
يا صاح قم وانظر الى باحاتها   وعاين البديع من اياتها
واطلق العنان في صفاتها   فانها ياقوتة في نحر
اما المدافن التي ليس لها   في الارض من بدائع تشبيها
كعرش بلقيس السني ذي البها   وقصر غمدان الجليل الذكرِ
مدافن تضارع القصورا   تضم في جدرانها البدورا
اياتها قد سطرت تسطيرا   يدهش بالابداع كل فكرِ
كانها اعجوبة العجائب   للشرق في الارض وللمغارب
او ان فيها منتهى الغرائب   او انها قد نصبت بالسحرِ
ياحبذا متحف «نابولي» السني   فانه سلوى لكل حزن
ضم من الاثار كل حسن   وكل رسم ناطق عن سرّ

فيه بدت صورة حرب شائقه لكنها الدقة فيها فائقه
رسم ولكن شاهدن دقائقه فانها في حجمها كالذر
ابطال حرب قد علت جيادا وطاولت في كرها الاسادا
فجندلت يبطشها الافرادا بالسيف والمثقفات السمر
لكن مومياءه المصريه تسمو على البدائع العصريه
كانها الكواكب الدريه او حلية صيغت لجيد الدهر
ياما احيلى وصف ذاك «الكلري» فانه انسان عين السمر
حوى جمالاً مدهشاً للفكر ما لا يفي به بليغ الشعر
سوق بديع يسحر الالبابا مد الى نجم السهى قبابا
قد اكتسى من السنى جلبابا يسمو على كل النجوم الزهر

السفر من جنوا

يوم الاحد في ٩ تموز ركبنا السفينة التجارية «لادوكسا دي جنوفا» من شركة «لا فلوشي» الايطالية فسارت تشق عباب الماء وفهمنا انها ستعرج على نابولي لتاخذ من بقي من ركابها ونسير الى ربودي جانيرو مارة ببوغاز جبل طارق وتناريف في مدة تسعة عشر يوماً وهذه السفينة بنيت سنة ١٨٨٤ وطولها ١٢٨ متراً وبعد ظهر الاثنين القت مرساتها في مينا نابولي وفتحت بطنها لاستكمال ما بقي لها في هذا الثغر من الشحن والفحم الحجري وهكذا بقيت الاتها الرافعة (الونش) تشتغل بالنقل من الساعة الخامسة الى نصف الليل ومن الفجر الى الساعة السادسة ثم نظرنا الى البركان فيزوف الذي له علينا الايادي الحمراء ولكن غير نظرة الرضى فرأينا السنته النارية تندلع وتقذف بالمواد الجهنمية الى ما جاورها وفهمنا ان الذي يقترب منه يسمع اصوات النار التي تغلي في صدره غليان القدر اذا جاشت فانه يصهر كل ما في جوفه حتى اذا تحول الى حمم نارية قذف بها فيراها الناظر بصورة يرتجف لها الفوءاد الا انه رفق بنا في تلك الليلة فسكن ما جاش به من الجاش

وهب النسيم البليل فنسينا ما مر بنا وقلنا لا باس علينا من جهنم ايطاليا وكدنا نحسبها ليلة زاهرة لولا لسع البراغيث التي شفت منا غليل الفوءاد وحرمت علينا لذيذ الرقاد

السفر من نابولي

يوم الثلاثا في ١١ تموز الساعة الثالثة بعد الظهر جرت السفينة و باسم الله مجراها فحيينا المدينة وجوارها تحية الوداع وفي نحو ساعتين غابت اليابسة عن عيوننا فلم نعد ننظر الا سماء وماء وكان في السفينة معنا اكثر من الف مهاجر منهم ٥٣ من السوريين

وصباح الاربعا في ١٢ منه كان البحر لم يزل ساكناً فتمنينا ان يدوم لنا الصفاء الى وصولنا وقد سر الركاب واخذ احدهم عوداً وضرب به ضرباً مطرباً و بعضهم اخذوا بالمخاصرة وغيرهم رقصوا افراداً على ظهر السفينة فكانت اصواتهم تملأ الفضاء فالرجال يرقصون والاولاد يصفقون والنساء يقهقهن ضاحكات وكلهم يغتنمون فرصة الصفاء قياماً بقول الشاعر

اذا هبت رياحك فاغتنمها فلا تدري الصفاء متى يكون

والايطاليان يسمون (الاركيله) « لابيبا توركا » وينظرون اليها متحيرين و بعضهم يلمسون زجاجتها ظناً منهم ان قد سرت حرارة الراس الى الاسفل

يوم الاربعا في ١٢ منه بدت عن اليمين جزيرة سردينيا Sardaigne الايطالية وهي جزيرة عظيمة واقعة في البحر المتوسط وفيها ٥٤٧٠٠ من السكان و بعدها بدت للعيون جزر كورسكا Corse و يفصل بينها و بين سردينيا مضيق بونيفاتشيو Bonifacio وهي مجتمع جزر عديدة فرنساوية وسكانها معاً ٢٦٣ الفاً تركها سكان جنوا للويس الخامس عشر سنة ١٧٦٨ وهي موطن نابوليون بونابرت الشهير

في الساعة الثانية بعد الظهر راينا اسطولاً فرنساوياً مولفاً من تسع عشرة بارجة مقسومة الى قسمين قسم عن اليمين واخر عن يسارنا فدخلنا بينهما وتبادلت سفينتنا واياها السلام فكان المنظر جميلاً جداً اما معاملة الربابنة والبحارة الايطاليان للركاب فهي حسنة لا سيما لمن يحسن السلوك بينهم فانه يصادف كل رعاية واكرام وفي كل صباح يقدمون القهوة لركاب الدرجة الثالثة مع قطعتين من (القليط) اما الغذاء والعشاء فيتألفان غالباً من الاطعمة الاتية وهي المكرونا الفاصوليا البطاطا العدس الارز الطون السردين الجبن (الخمر يومياً) ومرات يقدمون التين اليابس والبندق واللوز ولا يعتمد في السفن الايطالية الا على لحم البقر والغنم بخلاف البواخر الفرنساوية فانها تقدم للركاب احياناً لحم الخيل مطبوخاً

صباح الجمعة في ١٤ منه اصبحنا والغيوم تجلبب السماء من كل جانب وبعد شروق الشمس انتشر ضباب كثيف على كل الافق وامتد الينا فلم نعد نرى ما امامنا واخذت السفينة تصفر صفيراً متواصلاً وكان بالقرب منا سفينتان احداها عن اليمين والاخرى عن اليسار تجيبانا كذلك بالصفير تفادياً من الاصطدام اما الركاب فانهم التحفوا كل اثنين او ثلاثة منهم بملاءة (حرام) دفعاً للندى ووقاية من البرد فحسبنا اننا في شهر كانون لا في اواسط تموز لان الضباب كان يجود علينا بخيراته وكل اناء بالذي فيه ينضح والشمس كانت تشرق مرة وتغيب اخرى كانها من عداد الركاب تسيطر عليها الضباب فحرمنا من انسها وقت اضطرارنا اليها (عند عازتي اليها غمضت عينيها) والهواء يزودنا بنسماته الجليدية فسبحان من يجعل الحر الشديد في بلاد برداً قارساً في غيرها

بييترو زاكوئلي

Pietro Gacoelli

كان برفقتنا شيخ ايطالي يدعى بييترو زاكوئلي قد ناهز الخامسة والثمانين

من عمره (العمر كله) له ٦ اولاد ثلاثة منهم في البرازيل وثلاثة في الجمهورية الفضية ولهولاء الاولاد ثمانية واربعون ولداً ٠٠٠ ففي مثل هذا قال داود النبي طوبى لك ونعمة فامرأتك كرمة مخصبة وبنوك كغراس الزيتون حول مائدتك ٠ وكانت علائم السرور بادية على محياه لانه سيضم الى صدره نيفاً وخمسين ولداً هم اولاده واحفاده ٠٠٠ وترى بني بنيك والسلام على اسرائيل

جبل طارق Gibraltar

قبيل الغروب اقبلنا على بوغاز جبل طارق وكان يسمى قبلاً بحر المجاز او بحر الزقاق فتجلت للعيون قممه الشامخة ولا سيما صخرة طارق العظيمة وعند دخولنا فيه قلنا لقد صدق الخبر الخبير حقاً انه من الاماكن المنيعة في العالم والمسافة بين الجبلين نحو عشرة اميال وقد مر بنا اليوم او مررنا باكثر من ستين باخرة اما طول هذا البوغاز فيفوق الثلاثين ميلاً وعرضه في بعض الاماكن يقارب الخمسة عشر واخر الجبل من الجهة الشمالية يشبه جبل الكرمل ولسانه يمتد نحو الجنوب الغربي الى مسافة بعيدة

ومدينة جبل طارق هي مدينة الاندلس قبلاً سكانها يربون على ١٢ الفاً ومن راس هذه المدينة الى مدينة Ceuta كوتا (هذه المدينة مبنية على شبه جزيرة في المضيق الى اليسار وسكانها ثمانية الاف نفس) القريبة من مراكش نحو ٢٠ كيلومتراً وبين هاتين المدينتين مدخل البوغاز وكان الاقدمون يدعون جبلي المدينتين المذكورتين اعمدة هرقل

« وسبب تسميته ببوغاز جبل طارق بعد ان كان يسمى بحر الزقاق او بحر المجاز كما ذكرنا فهو انه في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان سادس الخلفاء الامويين والثالث من آل مروان كانت ولاية افريقية ملحقة بولاية مصر وكان

العامل عليها عبد العزيز بن مروان فجاءه الحسن ابن النعمان بالغنائم التي غنمها من البربر فطمع فيه عبد العزيز فشكاه الحسن الى الخليفة الوليد ففسخ عن مصر افريقية واقام موسى بن نصير عاملا عليها وكانت مملكة القوط (اسبانيا) في اختلال من استبداد روديريك بالامر وتغلبه على طليطلة عاصمة الملك وظلمه في قبائل الغوط وتسلطه على اعراض بناتهم فاستجار الاسبانيول بالعدالة الاسلامية واغتنم موسى الفرصة فكتب للخليفة يستأذنه في فتح بلاد اطيب هواء من الشام واخصب ارضاً من اليمن واعطر زهراً من الهند وبعد حصوله على اذن الخليفة سيّر طارق بن زياد البربري الشهير بالقوة والشجاعة والبطش في الحروب فسار ومعه اثنا عشر الفاً من البربر (لان الخليفة لما اذن لموسى بفتح البلاد قال له لا تغرر بجيش المسلمين في بحر شديد الاهوال) فاجتاز بن معه بحر الزقاق على المراكب من اضيق محل فيه ونزل بساحل اوروبا عند صخرة هائلة كانها الجبل فسميت باسمه وقيل لها جبل الطارق وقيل لمجتمع البحرين المكتنفين بها بوغاز جبل الطارق (جبر التار) وكان ذلك سنة ٩٢ هـ وسنة ٧١٠ م فانتصر طارق ولحقه موسى بجيوش المسلمين واشراف قريش وفتحوا مالقة واشبيلية وقرطبة وطليطلة عاصمة اسبانيا وواصلوا السير ففتحوا استورغة وهي في اسفل جبال البيرينه (الفاصلة بين اسبانيا وفرنسا) وسماها الاسلام (جبل البرتات) بكسر الراء واقاموا طارقاً والياً على طنجه جزاء اقدامه وانتصاره . اه . ملخصاً عن الهلال الاغر»

وهـذا البوغاز المنيع هو تحت سيطرة الانكليز وقد حصنوه بالمدافع الكثيرة في كل اماكنه حتى قيل انهم يأبون دون مكافأة مالية لمن يزيد على عدد مدافعه مدفعاً واحداً ولذلك فهو من الاهمية الحربية بمكان عظيم

المحيط الاتلانتيكي L'océan Atlantique

بعد ان ودعنا هذا البوغاز دخلنا في المحيط الاتلانتيكي فنهضنا صباح السبت في ١٥ تموز فاذا به يرغي و يزبد و يجعل السفينة

كريشةٍ في مهب الريح طائرة

لا تستقرُّ على حالٍ من القلقِ

والسماء ملتحفة بغيوم سوداء والريح باردة قوية والركاب يميلون ولكن ليس من طرب . وقد عاهدوا نفوسهم بالاَّ يخرجوا من اماكنهم الا انه عندما دخل احد البحارة حاملاً وعاء البخور لتطهير اماكن النوم (وفي الوعاء الحلتيت والملتيت والكبريت) كادت نفوسهم تزهق ونهضوا ولسان حالهم يقول :

اذا لم يكن الا الاسنة مركباً فلا رأي للمضطر الا ركوبها

وقد فضلوا التعرض للارياح الشديدة والامواج القوية على الموت الاسود (الموت خنقاً) وهذا ما يلام عليه الربابنة في السفن الايطالية فقد كان عليهم ان يهملوا امر التطهير في مثل هذا النهار حباً براحة المسافرين الذين هربوا الى ظهر السفينة ولكن (من الدلف تحت المزراب) وعندي انهم لو اغفلوا الامر يوماً واحداً او لو سمحوا برجوع الركاب الى اماكنهم بعد التطهير نهاراً لما كان جيش « المكروبات » يسري الى الباخرة بخيله ورجله ولا سيما اننا بعيدون عن مصر وطاعونها ... ولم يدر في خلدنا ان البحارة الايطاليين لا ينقصون من واجباتهم حرفاً واحداً سواءً كانت من الامور التي تباح او مما تزهق له النفوس تلك حالة نستلفت الانظار اليها فعساها تجد من يسعى باصلاحها وليعلم الربابنة والبحارة ان نفوس الركاب اثمن واقدس من القيام بالواجبات « الفلوشية » نسبة الى « فلوش » اسم الشركة فليتقوا الله وهو يجزي المصلحين والمتقين خيراً

ولقد عانينا في هذا المحيط صعوبات كثيرة وكدنا نذوق منه الامرّين ولا غرو فهو اعظم محيط بعد المحيط الهادي Pacifique فكأنه هو الذي وصفه داود النبي بقوله هذا البحر الكبير الواسع اجل هذا هو البحر الذي يكاد يغطي الارض والذي ركبت امواجه طبقات بعضها فوق بعض فهي تكاد تطاول السماء وطريح دوارة تقل فيه حيل الاطباء بعلو فتخال نفسك صاعداً مع ايليا بمركبته الى النعيم ويهبط فتحسب انك ساقط مع غني لعازر الى الجحيم تهجم فرسان امواجه بلون اشعث اغبر فكأنها تقول بلسان عنتر

لولا الذي ترهب الافلاك سطوته

جعلت متن جوادي قبة الفلك

فسبحان من جمع البحار الزاخرات وسير فيها الفلك ماخرات وجعل من امواج هذا البحر المحيط جبالاً واسناداً واقام لها في ارضها حدوداً ووهاداً .

يوم الاحد في ١٦ منه قام الركاب يطالبون باصلاح الاطعمة او استبدالها بسواها لانها ليست على ذوقهم فاجبتهم ان لكل يوم طعاماً خاصاً كما في القائمة الموجودة مع كل منكم فعلى كل من لا يستحسنه ان يشتري من مطبخ السفينة ما يريده ولا جدال في الذوق الا ان لنا ملاحظة لا بد من ذكرها وهي انهم يغلون القهوة ويقدمونها في المراجل (الطناجر) فيكون لكل راكب كاس كبيرة او اكثر فلو انقصوا من كمية الماء مع وضع القدر نفسه من البن والسكر لانصفوا واي انصاف لان هذه الكاس الملآنة بالقهوة هي مصبوغة بمسحوقها فقط وقد زارت وعاء السكر زيارة بسيطة ... من فاته البن فليشرب من المرقة

تناريف Ténériffe

وصلنا الى تناريف قبل فجر الاثنين في ١٨ تموز وهي جزيرة جميلة واعظم جزر كناريا واقعة في المحيط الاتلانتيكي ومحاطة بجبال عظيمة واحد هذه الجبال هو المشهور باسم جبل تناريف و بثورانه البركاني وجوارها كأنه جنة غناء تخترقه السكك الحديدية ولها مرفأ صغير

جاءنا منها في الزوارق الى الباخرة باعة الاثمار كالعنب والموز والتين والاجاص والمشمش وغيرها كالشقاب والدخان والسردين وكلها رخيصة وجيدة و بلغنا ان فيها ما يقارب ال ٣٥ الفاً من السكان ومنظر المدينة من البحر يحاكي منظر مدينة حيفا الا ان ابنية تناريف اجمل منها اما المسافة بين جبل طارق و بين تناريف فنحو ٦٦٠ ميلاً وبين تناريف ونابولي ١٦٥٠ ولتناريف حركة بحرية جديرة بالذكر فالسفن البخارية لا تقل فيها عن بضع عشرات فضلاً عن غيرها اما الركاب فانهم يجدون بتعريج السفن عليها لذة لانهم يستعيضون عما فاتهم من ثمار بلادهم ومشاهدة ذويهم وقد اطرأ لنا بعضهم رمان هذه الجزيرة فقال انه في غاية الجودة ولذة الطعم وفي الساعة الثالثة ودعنا تلك الجبال العالية التي تكللها الغيوم صباح مساء فيبدو للناظر منها منظر حسن فسارت السفينة تختال بين تلك الامواج

كراقصٍ وقضيب البان قامتهُ
يتيه عجباً ولا يصغي الى عذلِ
قد قام في وسط الامواج ينشدها
انا الغريقُ فما خوفي من البللِ

وكانت الجبال تحيينا بمناظرها الجميلة البهجة ومعارجها الفتانة

كأنها طرق نمل في اناملها   او روضة رصعتها السحب بالبردِ

وبعدها امسينا ننتظر الوصول الى ريو دي جانيرو والمسافة بين هذه وتناريف

٣٣٥٠ ميلاً وموعد وصولنا اليها في ٢٨ الجاري

يوم الثلثا في ١٨ منه كانت السماء متشحة بالغيوم كانها تهددنا بتواصل الامطار والشمس تتحجب عنا وراء الغمام فلم تطلع علينا نور محياها ولم تمدنا بشعاع منها يحيي الآمال ويخفف الاثقال والموج يموج بين اخذ ورد حسب السفينة عروساً تتهادى فيه فعربد ثملاً وغمرها بملء فيه واذ استطاب المقام والمقال انشدته بلسان الحال

قامت سفينتنا عروساً تنجلي — والقلب من فرط المسرة يخفقُ
والبشر يطفح واللسان مرنم — والموج يرقص والهواء يصفقُ
والافق يحجب عنه عين غزالة — والغيم يرعد والسحابة تبرقُ

يوم الاربعا في ١٩ منه كانت السماء غائمة والجو ساكناً فكأنه علم بما الم بنا فرثى لشكوانا اذ قمنا نطلب منه الامان ونسأله الرفق بنا فالرفق بالعواجز من الايمان فسارت السفينة فيه آمنة مطمئنة كانها قطار يسير على خطوطه الحديدية فيجد الراكب بتلاعبه بالسفينة لذة تحلو للسمع والبصر وتبقى في فؤاده اثراً واي اثر يقول ابيت اللعن فلاسرنكم ولئن شكرتم لازيدنكم وقد نبذ عنه المجون والجنون وتعلق باذيال الدعة والسكون وقد افادنا الربان ان عمق هذا المحيط يقارب الاربعة الاف متراً ولا بدع ففي المحيط الهادي (الباسيفيكي) نحو ١٠ الاف متر عمقاً وهذا المحيط واقع بين اميركا واسيا وهولاندا الجديدة كما ان المحيط الاتلانتيكي بين اوروبا وافريقيا واميركا

يوم الخميس في ٢٠ منه كان البحر جامداً والهواء هامداً والشمس قد خلعت عنها حلة السواد فبرزت من خدرها الذهبي تتهادى بوشاحها المنير والقمر الى جانبها فقلنا اهلاً بالنديم و بالسمير وكنا نشاهد جماعات من السمك الطيار Hirondelle de mer (سنونو البحر) تصعد من اللجة فتطير باجنحتها الى مسافات بعيدة وتعود من ثم الى الماء مربع سرورها ومرتع لذتها وحبورها فكأنها استعارت من القطا جناحه وسبقت عباس بالاستماحة فقالت :

اسرب القطا هل من يعير جناحه — لعلي الى من قد هويت اطيرُ

ثم ما لبثنا ان رأينا سرباً اخر من الطيور البيضاء المسماة طير الماء فتفاءلنا بها خيرًا وقلنا لها عمت صباحاً يا عرائس الطيور وهادية ذلك المكتشف الغيور (كولومبوس) فلقد ذكرتنا انك كنت السبب في حقن دمه بعد ان صمم رفقاؤه على قتله ظناً منهم انهم كادوا يهلكون فارسلت لهم بشيرًا بقربهم من اليابسة فبوركت وحبذا انت وما فعلت

يوم الجمعة في ٢١ منه كانت الشمس مشرقة والسماء يجليبها الغمام والبحر ساكناً رائقاً كأنه اشعر بوعده لنا (ولئن شكرتم لازيدنكم) لحفظ الوفاء ضرب من الايمان

والبحر لو لم يكن يرعى الوفا شرفاً

وحق عينيك لم يبقِ على احدِ

وتلاعب به الريح فحاكه بساطاً ازرق او انه ثوب منمق او حلقات قد نثرت او زرد او درع منيع ولكن لو جمد فتذكرت البيت الذي نظم صدره ذلك الاعرابي وارتج عليه فاكملته له البنت الاعرابية وهو

نثر الريح على الماء زرد　　يا له درعاً منيعاً لو جمد

وبعد نصف النهار اضطرب البحر وجادنا السحاب بوابل رذاذ واشتدت الريح فلم تبقِ على ظهر السفينة راكباً فاسرعنا الى اماكننا ونحن نقول

فما بالنا امس اسد العرين　　وما بالنا اليومَ شاه النجف

يوم السبت في ٢٢ منه كان يومنا كالامس ورأينا الشمس متسربلة بحلة حمراء كأنها غاضبة معنا على الريح واللجة ثم ما لبثنا ان رأيناها تتبلور وتتلألأ فادركنا انها تقول بلسان حالها لا خوف عليكم ولا انتم تجزعون وكان البحر يرشقنا حيناً بعد آخر بنبال مسمومة من كنانة امواجه فتقع على رؤوس الركاب وقوع الصواعق فيصرخون و ينتفضون فذكرت قول عبدالله الهذلي

واني لتعروني لذكراكِ هزة　　كما انتفض العصفور بلله القطرُ

يوم الاحد في ٢٣ تموز قبيل الظهر قطعنا خط الاستواء فاحيا الركاب الايطاليون حفلة راقصة (بالو) على نغم الموسيقى وشاركهم بعض البحارة فاخذ

كل منهم سيدة وشرعوا بالخاصرة ازواجاً فكنت ارى الرجال يتصبب العرق من جباههم اما النساء فلم تكن لتندى جباههن بالعرق بعد رقص طويل .. هكذا المتفرنجون من ابناء بلادنا السورية يجدون السير في اقتفاء الاثر حتى كادت الخاصرة تشيع عندنا شيوع (الموضة) وفي كثير من البيوت معلمات يدرسن بعض الفتيات هذا الفن بفروعه الحديثة ... لكيلا ينقص الانسة المتفرنجة شيء من الآداب ...

هدانا الغرب اداباً وعلماً ولكن معهما ضربات هونِ
تركنا ذاك الا النزر منه وغصنا في الاخير الى الذقونِ

وكل من سار على الدرب وصل ولكن الى حالة الشقاء والتعاسة ومن يعش يرَ ...

يوم الاثنين في ٢٤ تموز نهضنا صباحاً فاذا الحال قد تغيرت وعادت الى السكون فسبحان من يقول للشيء كن فيكون كأن الصفاء قد صفا خاطره على الركاب بعد ان ألمهم الم الدوار (الدوخة) وكادوا يهلكون . ولعمري ان حالة اولئك الذين يتغلب عليهم لهي حالة يكون معها المسافر اقرب الى الموت منه الى الحياة . فكنت اراهم وسيماء الكآبة في وجوههم والعبوسة مطبوعة على جباههم وريقهم يتدلق مع البصاق اندلاق لعاب الوحمى وهم يئنون كمن يحمل حملاً ثقيلاً على انهم عاجزون عن حمل ذواتهم يستغيثون ويتذمرن ويقذفون الشتائم على السفينة والسفن جمعاء ويشركون معها الريح والبحر وغيرهم ينسبون ذلك لنكد الطالع ويودون لو يعودوا الى ما كانوا عليه في بيوتهم وينتظرون ساعة الصحو بذاهب الصبر والغريق يتعلق بحبال الهواء ...

وعندي ان هولاء لو اختبروا نفوسهم قبل السفر لما اقدموا عليه الا ان مثلهم كمثل الحامل اذا جاءها المخاض فتقسم بانها لن تعود اليه بيد انها تنسى بعد الولادة كلامها والامها فهم يشكون ولكن على ذواتهم ويتذمرون ولكن مما جنته ايديهم والمثل يقول (يلي ما ذاق المغرابه ما يعرف شو الحكايه) فعسى ان يكون في كلامنا عبرة لمن يهمه امر نفسه ومن تبصر قبل الوقوع امن من الندامة

يوم الثلثا في ٢٥ منه لم يكن ما يعكر كاس صفائنا والحال كانت على ما ذكرناه امس وقد دبت في عروقنا روح النشاط وبتنا ننتظر يوم الوصول

يوم الاربعا في ٢٦ منه نهض الركاب والاناشيد سرورهم تملأ الفضاء حتى حسبت نفسي في عرس وقلت مسا عساه ان يكون فقال احدهم ان الصحو مرافق لنا في هذه الايام الاخيرة و بعد الغد وهو ٢٨ منه يكون وصولنا بالسلامة بحمد الله

ان السلامة كنزٌ كل خردلة منه تقوم من مالٍ بقنطارِ

قلت نعم ان شكر الله فرض علينا في كل حال ولا سيما بقرب وصولنا سالمين وحقاً ان سفراً كهذا ليس بالامر الذي يستهان به في هذا المحيط الذي حرم النوم على العيون وافقد الركاب الصبر الجميل ولا اخفي عن القارىء ان كثيرين منهم يفقدون صحتهم من كثرة الاضطراب وشدة المخاوف والامور التي تحدث من انكسار الرفاس او انفجار المرجل او غير ذلك من الاصطدام ونحوه فيواخيهم الداء ويتأصل في اجسامهم واذا وصلوا الى البر سالمين فسلامتهم لا تتجاوز بضعة اسابيع لانهم يلقون بايديهم الى التهلكة فلا يراعون شروط الصحة ولا يعبأون بامر الراحة ظناً منهم ان اجسامهم قدت من الحديد فيسقطون نادمين ولات ساعة مندم

وقد شاهدت كثيرين منهم في جنوا ومرسيليا وقد اتوا على غير هدى فلم يستعلموا عن ميعاد سفر البواخر من مرسيليا او من جنوا بل اكتفوا بان ركبوا احدى سفن المساجري او الشركة الايطالية آملين انهم يفوزون بامانيهم فساءَ فألهم لانهم عند وصولهم الى احد الموانىء كانت السفينة المنتظرة منهم قد سافرت (فطلعت سلتهم بلا تين) فقالوا صبراً على مجامر الكرام ومكثوا تتلظى اكبادهم على نار احر من نار الجحيم فلا هم في بلادهم و بين آلهم ولا مال في جيوبهم يسدون به عوزهم

وفي السوق حاجاتٌ وفي الجيب قلةٌ
ولا تجلب الحاجات الا الدراهمُ

فليس لهم شروى نقير ولا في دار الغربة لهم من نصير تلك حال اصيب بها كثيرون ممن لم يحملوا من الدراهم الا نفقة السفر فقط فادوها الى الشركة قبيل سفرهم ودخلوا السفينة آمنين فسقطوا من حيث لا يعلمون وافادني احد الثقاة ان بعض المهاجرين الى البرازيل استغرق سفرهم ثلاثة اشهر وكانوا كل يوم في عذاب اليم قلت فلو علم التاريخ بهم لضمهم الى اولئك الذين يهاجرون الى اميركا الشمالية و بعد الفحص في مرسيليا او جنوا او نابولي يرفضون لعلة وهمية او حقيقية ولدي كتاب من احد الاقرباء يقول فيه انه صرف ١٢٠ يوماً ونحو ٣٠ الف غرش حتى تيسر له الصعود الى السما (على رايه) اعني الوصول الى النيو يورك وافادني احدهم في مرسيليا انه ينتظر من ابن عمه ان يقدم له الدراهم ليتابع سفره وله الان اكثر من ٥٠ يوماً وكثيرون على شاكلة هذا السيء الطالع والقليل الخبرة

والدهر يهزأ بالمحنك ضاحكاً ولديه من سقطاته ما لا يعد
فاذا سقطت وكنت غير محنكٍ فلسوف تبقى في الشقاء الى الابد

و بينما نحن في جذل واذا بالريح قد جاءت باهلها ودبت عقاربها الينا بخيلها ورجلها فقام البحر وقعد واعرورقت امواجه فانسانا (ياله درعاً منيعاً لو جمد) ولكن لم تلبث الريح ان هدأت وعاد البحر ساكناً فتوسمناه واذا به مرآة صافية يرتسم على سطحه لألاء الجو وزرقته فيبدو للعين منه منظر يدهش النظر بمرآه و يرد الطرف وهو كليل لوفرة سناه تنعكس عليه اشعة الشمس الذهبية فتطلع عقود در نظيم في نحور امواجه الفضية

مناظر يحار في وصفها الكاتب فتؤاخي قريحته الجماد وتقل في وصفها بلاغة الشاعر ولو اجاد فلله درها ما ابهجها للعيون وما الطف وقعها في القلوب حال السكون

اذا صفا الجو فلا مشقة ولا حزن
فكل ما تنظره تراه في العين حسن
وكل ما تأكله عافية على البدن
كدورة الافق شجا للحلق والقلب شجن

فاغتنم الصفو ولا تركن الى هذا الزمن
ما الصفو الا زهرة قائمة على فنن
فانشق اريج عطرها واحذر من الدهر المحن
فالمرء عرضٌ للبلا يا والرزايا والإحن
لا تأمن الدهر ولو حباك جنات عدن
فانه ينوي الاذى وانت لاهٍ في ددن
هذي نصيحة الذي ابتلى الزمان وامتحن
كن فطناً وفز فما يفوز الا ذو الفطن

وهكذا مضى نهارنا ولم ندرِ مضى ولكن بين انس و بشر ومذ دب النعاس الى الجفون قمنا الى اسرتنا فقضينا ليلتنا في حضن الراحة والهناء

يوم الخميس في ٢٧ منه نهضنا باكراً نروح النفس بذكر الاوطان

روّحِ النفس بذكر المنحنى واعده عند سمعي يا اخي

ونجلو البصر بمشاهد ذلك الصباح نجوم وضاء كالدنانير فرشت على بساط السماء والقمر يجود علينا بما بقي لديه من الضياء والفجر كأنه قبس نار ينشر على الافق رايات الفوز والفخار والليل تنسل جنوده انسلال السارق والنجوم يتضاءل نورها من شعاع الغزالة تضاؤل الآبق المنافق

كانما الافق بساط من حرير منتخب
حروفه قد حليت بنقط من الذهب
تطفو نجومـه كما يطفو على الكاس الحبب
ان مسها النور اختفت كالبرق ضاء وذهب
والفجر كالنار اذا ما لامس الافق التهب
فههنا الابداع او قل ههنا كل العجب
فانهض وادِّ الشكر للمولى على ما قد وهب
ذلك فرض واجب فقم ببعض ما وجب

يوم الجمعة في ٢٨ تموز نهض الركاب جميعهم يتغنون و يصفقون ابتهاجاً بقرب

الوصول ورأينا ان الباخرة تحذت وجهتها الغرب بعد ان كانت تسير الى الجنوب الغربي وقبيل الظهر ظهر لنا عن اليمين جبل بعيد فحياه الجميع باصوات الاستبشار والفرح وحركات السرور والجذل فكنا نسمع من الايطاليان « تيرا... تيرا ديو بونو » ومعناها ارض ... ارض يا الله الصالح

البرازيل Le Brésil

ولم تمض ساعة اخرى حتى ظهر لنا جبال كثيرة وكلها تبشرنا بوشك اقترابنا وفي الساعة الحادية بعد الظهر تجلى امامنا الجبل الذي يتقدم مدينة ريو دي جانيرو مطمح ابصارنا ومجلى افكارنا ولم نكد نصل امام هذا الجبل حتى رفعت السفينة أعلاماً ايطالية إعلاماً بوصولها سالمة فتشرع الشركة التلغرافية التي على هذا الجبل بافادة شركة السفينة (الاجانسيا) بذلك والمسافة بين الجبل المذكور والمدينة نيف وخمسون ميلاً والبحر يفصل هذا الجبل الى اثنين فيتألف بينهما برزخ طويل هو عن يمين الداخل الى الشمال وتبعه سلسلة جبال طويلة موصلة الى المدينة وما بعدها ثم انتهينا الى قمم مختلفة الحجوم والاشكال لا يحيط بها وصف فبعضها يكللها الضباب وغيرها تطاول السحاب فمنها المخفضة باعوجاج والمنبسطة باستواء فراس هذا الجبل مستدير ومنحدر ذاك كانه المنشار فكيف ارسلت رائد الطرف لا يقع الا على امثالها وكل قمة من القمم المذكورة تختلف تماماً عما تقدمها حتى كأن الخالق سبحانه خص بكل قمة قالباً منفرداً لم يشرك به سواه وما احسن ما قاله داود النبي . ما اعظم اعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت

ريو دو جانيرو Rio de Janeiro

دخلنا هذه المدينة فاذا هي واقعة على الشاطىء الجنوبي من المحيط الاتلانتيكي في منتهى خليج بديع وامامها عن اليمين وعن اليسار جبلان هما امنع من عقاب الجو ورأينا عن يمين المدخل قلعة عظيمة والى جانبها مساكن كثيرة هي اماكن الجنود والى طرفها الجنوبي سور يشابه سور مدينة عكا البري وفي هذا المكان كنيسة سانتا كروز وبعدها جبل عالٍ مقسوم الى اثنين في غاية الجمال وعن يسارنا قلاع اخرى عديدة وبعدها نجم عن اليمين عمود عظيم عليه تمثال بديع ويسمى « سانتا روزا » وبعده المشاهد الغريبة والاعمدة والقباب ومن ثم برزت لنا كنيسة كندلاريا العظيمة وهي اكبر كنيسة في البرازيل لها خمس قباب عالية هندسية وقد اشتغل بها البناؤون سنين عديدة . ولم تغرب الشمس حتى غربت مرساة السفينة في اللجة وقد شاهدنا عن اليسار نجوماً درية عديدة تخذت صفح الجبل مكاناً تفيء فيه وما تلك الا الانوار الكهربائية التي تهزأ بالدراري وبينها مصابيح كبيرة تكاد تفضح النيرين ولما رست الباخرة حمدنا الله على وصولنا سالمين

وقد هنأ الركاب بعضهم بعضاً بسلامة الوصول واجتمعوا ينشدون الاناشيد العربية واخذت انشودة « الميجانا » ترن في ذلك الخليج الكبير الذي تنير جباله الانوار والمصابيح فيحسبها الناظر ورود رياض فتحت اكمامها او درراً تلألأت في اصدافها وقد احدثت هذه المشاهد تأثيراً شديداً في نفوس الركاب فاجاد المنشدون منهم كل الاجادة ومن جملة ما انشدوه قول احدهم على « العتابا »

« بغال محمله وجراس بتعن
وايام مضت على البال بتعن »
« حملت بضاعتي واندرت ايعن
غريب وما حدا مني اشترى »

فتسارع الى مخيلتي حالة الباعة (بالكشة) من السوريين وسيطلع القارىء على كثير من امورهم في هذا الكتاب

اما المدينة فتعد من المدن الحصينة لانها كما ذكرنا واقعة في نهاية جبلين عظيمين يحميان مدخلها وهما لها حصن منيع وقلاعها كلها تملأ العيون مهابة وبعد شروق الشمس رفعت الباخرة مرساتهـا وقطرتها سفينة بخارية صغيرة الى المرفا وكنا نرى اثناء مرورنا الزوارق البخارية اشكالاً عديدة وشاهدنا ايضاً السفن الحربية وهي متينة البناء حديثة الطلاء عالية الابراج تشبع الطرف رهبة الا انها قليلة العدد اما السفن الشراعية والبخارية فانها تكاد لا تحصى وكلها كبيرة ومتينة ولولا ذلك لما استطاعت ان تنجو من بحر شديد الاهوال

ومن ثم مررنا بمدرسة الاولاد اللقطاء وهي كانها جنة غناء قائمة في منتصف المرفأ بهندسة شائقة والى اليمين قسم المدينة بفصل البحر بينها وهذا المكان كثير الاشجار والازهار ويحسب نزهة تذكر امـا نقل الناس اليه فيتم بواسطة سفن بخارية تسير كل واحدة منها بدولابين في جانبيها حسب الاصطلاح القديم في البواخر وتسمى عندهم (باركا) فتشتغل بنقل الركاب وتتقاضى الحفاة منهم غرشين وغيرهم اربعة

وفي الساعة التاسعة نزلنا الى المدينة وطفنا في شوارعها فمررنا من الحدائق المنشأة لنزهة السكان وهي عديدة فيها وكل واحدة منها تحتوي على تمثال يرمز الى حادثة تاريخية تمثل حالة البلاد منذ نيف وار بعماية سنة وكيف اتصلت اليها المدنية بعد اكتشافها واجمل هذه الجنائن اثنتان اولاهما جنينة بنت الملك ففيهـا الاشجار العديدة والزهور مغروسة غرساً لطيفاً يمثل بعضها احرفاً كبيرة اما القصر فهو جميل وغاية في دقة الصناعة قائم على اربعة اعمدة وحواليه التماثيل البديعة وكلها ايات ناطقة بفضل صانعيها وحذقهم

والثانية جنينة سانتانا Santanna ومعناها القديسة حنة وشاهدنا تمثال هذه القديسة تحت تمثال غير هائل وكلاهما من الرخام وقد انتهى الصراع بموت كليهما اما القديسة فانها ماتت متأثرة من جراحها الا انها ثأرت لنفسها قبيل الوفاة بطعنة نجلاء في صدر النمر كانت القاضية وهكذا تخلصت المدينة من شر هذا الوحش

الكاسر و بعد ان كانت هذه الحديقة ماوى للصوص وعريناً للوحوش اصبحت جنة غناء وقد نصب لسانتانا المذكورة هذا الاثر تخليداً لفضلها ٠ وفي هذه الحديقة البرك الكثيرة والمياه الغزيرة تسبح فيها الاسماك وترتع على جوانبها الطيور التي لم تحلم بها عين السوري فهي فضلاً عن كثرتها ذوات ريش يمثل قوس السحاب ولها اصوات غريبة لكنها ليست رخيمة ففيها من الطاووس والنعام والبط والاوز والديك الهندي ودجاج فرعون وغيرها من الطيور الكبيرة والصغيرة التي لا اسماء لها ولا مسميات في بلادنا والببغاء كثيرة فيها مختلفة الالوان شاهدنا منه الاخضر والاحمر والابيض

ملاحظة * لا يسمح بالدخول الا لمن كان متردياً بالزي الافرنجي واضعاً العقدة « كرافات » في عنقه

اما طرقات المدينة فاكثرها ضيقة الا الحديثة منها فهي مبنية على طرز يتكفل براحة الاهلين مع ازدحام الناس وكثرة العربات واختلاف اجناسها ومساكنها فقسم عظيم منها ليس صحياً ويسكن في كل حجرة منه من السوريين من الثلاثة فصاعداً ولولا انتباه الحكومة وارسالها الطبيب بفحص الاماكن القديمة ويحرض على الاعتناء بامر التطهير والنظافة البيتية ويغرم كل من يخالف الامر بجزاء نقدي يسمونه « مولتا » (شقوا من هذه الكلمة فعلاً فقالوا « مَولَت » الشرطي فلاناً اذا الزمه بتادية الجزاء كما شق غيرهم « تبنطل » من البانطلون « وتبرنط » من البرنيطة « وتأمرك » من اميركا الخ ٠٠٠) لكان سكان كل حجرة من البيوت القديمة يفوقون بكثرتهم سكان بيت كبير ومع هذا فكل الجهد مبذول في سبيل خلع اللباس العتيق ولبس الطراز الحديث فالمساكن القديمة تشترى من اصحابها وتهدم في الحال ويعاد بناؤها على النسق الاوروبي الصحي وما يذكر بالشكر لمتولي الاعمال فيها هو فتحهم الطريق الجديدة من الجبل الى البحر فطوله يزيد عن الفي متر وعرضه ثلاثون متراً تقريباً وبعد الفراغ منه سيكون اهم شارع في المدينة اما شوارعها الحاليه فاهمها « روا دوفيدور » اي شارع الشرف والمصارف الانكليزية مستأثرة بقسم عظيم من التجارة في كل بلاد البرازيل حتى تكاد تكون صاحبة الحل والعقد فيها وسعر الذهب هناك يتقلب كتقلبات الزمان فلا يقع تحت حصر ولا يربطه

رابط وقد تراوح سعر الليرة الانكليزية حتى الآن بين ٨٩ و٤٥٠ (سنتي ريش) غرشاً وسعرها الحالي قبل طبع هذا الكتاب ١٣١ غرشاً

والمصارف (البنوكة) فيها كثيرة الا ان المصارف الانكليزية لها القدح المعلى وحائزة على ثقة العموم

اما سكان هذه المدينة فيبلغون زهاء المليون عداً وفيهم البورتوغاليون الوطنيون والدخلاء وهم اكثر الشعوب ويليهم الايطاليان والاسبان والفرنساويون والالمان واليونان والسوريون وسواهم والبرازيل بلاد حارة تكثر فيها الرطوبة (ولا سيما في العاصمة) الا ان اوضها مخصبة ومياهها غزيرة لذيذة ونبع ريو دي جانيرو الذي يجري اليها من مسافة قريبة يضارع نبع العسل بحلاوته (هذا النبع شهير في لبنان واقع بالقرب من ميروبا على بعد ساعتين)

ومناخ هذه المدينة معتدل الا انه اقرب الى الوبالة منه الى الجودة بسبب التقلبات الجوية فبينما يكون الجو صافياً والحر شديداً تغيم السماء ويهطل المطر فيحدث هذا الانقلاب الفجائي امراضاً قتالة والضباب يكاد لا ينفك عن المدينة ولولا جودة المياه لكان التأثير اعظم والاصابات بالحمى الصفراء (حمى البرازيل) اكثر وقد انتبهت الحكومة للامر فشمرت عن ساعد الجد وسعت بتوسيع الطرقات وغرس الاشجار على الجانبين الى غير ذلك من الوسائط الصحية ولا يخفى ان غرس الاشجار في بلاد يكثر فيها الرعن (ضربة الشمس) لمن الضروريات الاولية ولقد اخذت تلك الوسائل تسفر عن نجاح كبير فالاصابات اصبحت قليلة والصحة العمومية احسن من ذي قبل وقدرنا انه في خلال عشر سنين ستصير مدينة ريو دي جانيرو باريس الثانية وريو دي جانيرو هذه معناها نهر كانون الثاني وهي عاصمة البرازيل الحالية وقد كانت العاصمة قبلاً باهيا Bahia التي تسمى ايضاً سان سلفادور San Salvador (المخلص) والبرازيل شاسعة الشقة واسعة الاطراف بعيدة المرمى تمخر السفن في بحرها نحو عشرين يوماً ويمشي المسافر في برها الفسيح بضعة اشهر وتقسم الى اربعة وعشرين ولاية كبيرة كل ولاية تكاد توازي مملكة من ممالك اوروبا بمساحتها وانهر هذه المملكة كثيرة واكبرها نهر الامازون Amazones وهو من الانهر الكبيرة في الكرة الارضية واعظم نهر في اميركا الجنوبية (البرازيل)

طول مجراه ٧٥٠٠ كيلومترًا و برزخ بناما يفصل بين اميركا الجنوبية واميركا الشمالية التي يزيد سكانها عن سبعين مليونًا اما البرازيل فيسكنها نحو خمسة وعشرين مليونًا من السكان بينهم قسم كبير من الزنوج وثمارها شهية ولذيذة ولا سيما الموز والليمون والذرة وقصب السكر الذي يستخرجون منه (العرَق) و يسميه زنوج البرازيل (ماتابيش) اي قاتل الحيوان وفي المدن يسمونه (باراتي) اي مستقطر ومنهم من يسميه (اكوار دانتي) اي مخدر الاسنان وثمار اخرى لا وجود لها عندنا مثل (الباكاشيا) وغيرها . ثم هناك نوع اخر من الفاصوليا اسود اللون يسمونه (فاجوم) ياكلونه مطبوخًا وكثيرون يطحنونه كالدقيق ويستعينون به في كثير من اطعمتهم

اما قطارات هذه المدينة فبعضها تجرها البغال وبعضها البخار وغيرها الكهربائية وهي مع كثرتها متينة وسريعة ولا تتقاضى اجرة كبيرة فاجرة الترامواي (على البغال) من جنينة سانتانا المذكورة الى الجمرك غرش واحد (ماية ريش) وفي القطار الكهربائي ٣ غروش اما في السكة الحديدية فسافة الساعة يدفع عنها غرشان . وثلاثة غروش عن الذهاب والاياب والسفر من ريو دي جانيرو الى سان باولو (احدى مدن البرازيل الشهيرة) يتم مع السكة الحديدية في مدة اثنتي عشرة ساعة والاجرة للمحطة الاولى ٢٨٠ وللمحطة الاخيرة ٣٢٠ غرشًا وقس عليها

الاشياء الرخيصة في البرازيل هي الموز والليمون الذي يكاد كل مسافر في البر يتناوله بلا ثمن . مثلاً لو خطر لذاك المسافر ان ينزل الى البستان ويقطف ليمونة من احدى اشجاره وشاهده صاحب الثمر فياتي اليه ويقول له « سنيور » هذا حامض فتفضل اقطف من ذاك لانه احلى

والاسماك على انواعها كثيرة ورخيصة ايضًا بالنسبة الى غيرها اما ما بقي من الماكولات فهاك مثالا عن بعضه اتمامًا للفائدة وهو على معدل الكيلو والعملة الدارجة في بيروت

كيلو الزيتون الاخضر ب ٢٢ غرشًا والاسود ب ٢٥ والزيت ب ٢٥ والجبن من ٢٥ الى ٥٠ والسمن ب ٦٠ والبرغل ب ١٤ والارز الانكليزي ب ٦ ولذلك ترى بعض السوريين يتجرون بالاشياء المذكورة وغيرها ايضًا من حاصلات

سورية مثل الصنوبر والطحينة والتين والجوز والعرق والفستق وقمر الدين والسميذ والسماق والكشك والنقوع والمربيات والجبن والسنموره وشراب الرمان الخ .... الخ ...

اما كيلو لحم الغنم فهو ب ٢٥ ولحم البقر ب ٦ والحليب ب ٦ وفي المطاعم فالماكولات على نسبة الاشياء المذكورة واليك المثال عن بعض الماكولات العربية فالصحن ب ٥ غروش (صحن صغير) وقرص الكبه مثله وسيخ اللحم (قطعة ٨) كذلك وقس عليها الباذنجان المحشي وغيره ...

امـا اجرة النوم في اللوكندات الرخيصة فهي ١٥ غرشاً عن كل ليلة وبدل الاكل والنوم نيف ومائة غرش كل يوم كيف لا والفجل الافرنجي الواحدة منه بقرش ...

والملبوسات تساوي ما تقدمها ارتفاعاً بالنسبة الى اثمانها في بلادنا فالبرطلة (البرنيطة) التي تباع في بيروت ب ٧ غروش تساوي هناك ٧٠ غرشاً ومثلها الطقم الافرنجي « البالطو والصدرة والبانطالون » الصوف او الجوخ فهو يتراوح بين ١٠٠٠ و ١٥٠٠ والكتان الاسمر بين ٦٠٠ و ٨٠٠ وقس عليها « القمصان » « والكرافتات » « والكلسونات » « والكلسات » وسواها والاحذية يبلغ ثمن « البوط » منها ٣٠٠ واجرة غسل وكي الطقم الكتاني ٥٠ غرشاً

اراد احد الاصدقاء ان يلعب بالورق ذات ليلة فنقد البائع ثمنه ١١ غرشاً وقد تساهل به (حسب دعواه) لان الشاري جار البائع وصديقه ...

امـا البضائع الواردة الى البرازيل فقسم كبير منها يدفع عنهُ اربابه ثلاثة او اربعة اضعاف ثمنه الاصلي (يدفع عن كيلو الحلاوة السكرية ٣٥ غرشاً رسم جمرك) واجرة الحلاق من ٥ الى ١٠ والراشن (الحلوان) للصانع الصغير غرشان

واهم صادرات البرازيل البن فهي ترسل منه الى كل الاقطار وسعر الروبية بين ٥٤ و ٨٠ غرشاً (الروبية قطعة نقود هندية من الفضة تساوي فرنكين ونصف وقطعة نقود فارسية من الذهب توازي ٣٨/٧٠ فرنكاً وفي البرازيل تعدل ١٠

كيلوغرام) اما تجار البرازيل فاكثرهم صادقون في معاملاتهم مستقيمو السيرة وكانوا قبلاً يحبون السوريين حباً شديداً ويرون بهم اناساً قديسين الا انهم عادوا عن هذه المحبة الى ضدها لما اجراه بعض السوريين

والبرازيليون قوم مسالمون ميالون الى عمل الخير محبون للغرباء فكم اضافوا من السوريين وسواهم مرضاةً لوجه الله واذا ضل احد الغرباء عن الطريق فيكون له منهم آمن دليل واذا ادركه الظلام في البر فيحلونه على الرحب والسعة ويبالغون في اكرامه كانه من ذوي قرباهم وكثيرون يشترون منه اذا كان من حاملي « الكشة » فيربح منهم ارباحاً عظيمة ويبيت عندهم آمناً مطمئناً حتى اذا اصبح الصباح زودوه بلطفهم وايناسهم

(ملاحظة ان هذه المعاملة قد بطلت بسبب سوء تصرف بعض السوريين وعدم استقامتهم)

ولكن منهم تسول له نفسه السوء فيفتك بالضيف طمعاً بدراهمه فان الشيطان للانسان عدو مبين ولا غرو فان بعض المتوحشين منهم يفترسون بناتهم ويحلونهن محل زوجاتهم وقد تعدد هذا الامر الفظيع مرات عديدة

وفي شهيدة الشوف لحضرة الشيخ الفاضل امين افندي تقي الدين اكبر دليل على اخلاق بعضهم الوحشية

وبلغنا ان سيطرة رجال الاكليرس هناك على البعض شديدة (بالدبوس) وكثيرون من الكهنة المتبتلين (الناذرين العفة والطهارة) لهم زوجات عديدات واولاد عديدون



حالة السوريين في المدن

في مدينة ريو دي جانيرو نيف وخمسة الاف من السوريين يتعاطون التجارة وبعضهم نجحوا نجاحاً يذكر بسبب اقتصادهم واستقامتهم ولغير خافٍ ان اكثر السوريين (اذا لم نقل كلهم) الذين هاجروا الى هذه البلاد اشتغلوا ببيع السلع وحمل « الكشة » فمنهم من جمعوا مبلغاً من الدراهم وفتحوا للتجارة ابواباً واسعة واشتغلوا باستقامة (وهم قليلون) فتقدموا وامتدت تجارتهم .. ومنهم من لم يحسب للدهر حساباً فتصرف تصرف الجهلاء فضاع واضاع معه مال غيره . ومنهم من فتح للدين طريقاً رحبة فلم يمر على تجارته بضعة اشهر حتى اصبح لا يملك الا حبراً على ورق (كمبيالات) واكثرها الوعدة للممات والكفيل عزرائيل ... فبات يعض البنان ندماً ولهذا عم القول ان كثيرين من السوريين نجحوا في هذه البلاد في خلال بضعة اشهر وهذا صحيح لانهم استلفوا بضائعهم من التجار لاجل مسمى وذهبوا الى القرى فباعوها كلها وعادوا « بالسلامة » الى اوطانهم وتركوا التاجر يندب نكد طالعه ومنهم ايضاً من يبيعون البضاعة ويغيرون مكان اقامتهم واسماءهم والقابهم وبلادهم كما فهمت في التمهيد ليخفى اثرهم عن صاحب المال . نعم هذه حالة من نجحوا في بضعة اشهر وبئس النجاح وهذا ما جعل المهاجرين حديثاً الى هذه البلاد ممقوتين من الجميع وان ينظر اليهم بعين الازدراء والتحذر كانهم من قطاع الطرق وهذه حال من جرم الغرور الى تلك الديار السحيقة .. سواء كانوا من ذوي الاستقامة او لا وهي حالة موجبة للكدر والاسف لانهم اذا خرجوا من الباخرة توسدوا التراب واستعدوا للعذاب ينفر منهم كل من رآهم والذي يعرفهم يتعامى عنهم ويتحاشى ان يقع نظرهم عليه لان فؤاده ملسوع من اخوانهم الأُلى سلفوا وجاؤوا الى هذه الديار فترحب بهم وانزلهم على السعة واسلفهم بضاعة واخذ لهم رخصة بالبيع فجازوه ولكن جزاء سنمار ... فهو ينفخ عند مشاهدته اياهم كما نفخ ذاك على اللبن فلما سئل عن السبب قال ابوه كواني ..

فهي وايم الحق حالة تعيسة واتعس منها حال من قدم ويده فارغة (يعني اظفر من طنبوره) او قد لا يكون معه اجرة الزورق كانه شقيق ذاك الذي خاطب حبيبه قائلاً

« ايا حبيبتي عهدي بجوفك فارغاً
فمن اين جاءتك الثلاثُ مثالكِ »

يسافر على ما ذكر ناشراً اذنيه كانه قادم الى وطنه وهو يكاد لا يعلم اسم المدينة المهاجر اليها لولا العنوان الذي يحمله في جيبه او الاسم الذي سمعه من الناس فتعشقه على السماع (والاذن تعشق قبل العين احيانا) وقد شاهدت كثيرين من هولاء المهاجرين يتقلبون على جمر الغضا فيستغيثون ولا مغيث ولا من يصغي الى شكواهم واذا كان بينهم اناس من ذوي الاستقامة فقد سقطوا كلهم معاً (وراح الصالح بعزا الطالح) وسمعت كثيرين منهم يتمنون الموت لانهم في اشد حالات الضيق والفقر والاضطهاد وهي حالات يحلو مع احدها الموت فكيف معها كلها . . .

مهلاً ايها القارئ الاديب ولا تسرع بانتقادك كلامي بقولك ان كل الذين هاجروا الى اميركا نجحوا واثروا فان كلامك هذا مردود والذين تسميهم الكل ليسوا الا اقل من البعض ولكي تكون على بينة من كلامي هذا خذ سجل نفوس قرية من قرى لبنان مثلاً وعد المهاجرين منها الى اميركا وبعدئذٍ عد الذين نجحوا وعادوا الى الوطن وانا اقبل بك حكماً لانك ستسمع من فمك ما ينقض دعواك وان اردت فاسمح لي ان اتم حديثي عن السوريين المهاجرين وجيوبهم فارغة فان امثال هولاء يذوقون من العذاب الواناً يذكرون الوطن وما مر من ايامهم فيبكون بدموع غزيرة وادين لو تعود اليهم او يعودون اليها وفاتهم ان دون مقامهم خرط القتاد فهم يبقون على حالهم الى ان يرفق بهم احد السوريين فيسلم الحدهم بعض الخرضوات لياخذها ويبيعها خفية حذراً من ان يراه (الفشكال) الشرطي فياخذها منه ولا يردها اليه لانه يبيع بلا (سنسه) رخصة فيكون والحالة هذه اشبه باللص الذي ينتظر الوقت المناسب لاجراء حرفته سراً لانه اذا وقع في الفخ يذهب تعبه سدى ويخسر في يوم واحد وساعة واحدة ما لا يربحه في ايام كثيرة ولكن اذا عزم على

الاستقامة وان يبتاع رخصة فلا تعطى له الا عن سنة كاملة ولو مضى منها الاحد عشر شهراً

وبدل الرخصة عن بيع « الدخان » لمن يطوفون في الاسواق والشوارع ٢٢٥٠ غرشاً وعن البضائع كذلك ٣٢٥٠ سنوياً

ومن هذه البضائع الخرضوات وتسمى عندهم Armarinho ارمارينو ومنها الاقمشة واسمها فازندا Fazendas لا كما يلفظها البعض « ففازندا » بتفخيم القاف

اما ارباح الدخان فهي محصورة للكل بالسوية فالماية تربح عشرين غرشاً ولنفرض ان الشاب يبيع منه بماية غرش كل يوم فدخلها لا يفي بنفقاته الا ان بعضهم يرشون « الفشكال » ليسمح لهم بالوقوف في اماكن الازدحام حيث يبيعون بيعاً وافراً وان كثيرين من المجتهدين يبيعون بما يبلغ الـ ٥٠٠ غرش وارباح هذه بعد خسم الضريبة الشهرية التي يأدونها « للفشكال » وبدل الرخصة للحكومة تكون نحو ٦٠ او ٧٠ غرشاً (لانهم ينقدون الفشكال من ٦٠٠ غرش فصاعداً عن كل شهر) وهذه القيمة المذكورة اعني ٦٠ — ٧٠ غرشاً اذا مشى الشاب منهم على قدم الاقتصاد فيستطيع ان يوفر منها لنفسه مبلغاً مع تمادي الايام والا فانها لا تفي بنفقاته و يظل زمانه يئن تحت نير الديون ولقد عاينت هذا الامر بعيني وسمعته باذني من كثيرين من السوريين اما ما نسمعه عن اغتناء بعض المهاجرين في خلال بضعة اشهر فكله (خلط بخلط) الا اذا كان منسوباً لحيلة او خدعة يفعلها المهاجر كما ذكرنا او ان يشتري نمرة يا نصيب فيسعده الحظ كما جرى لاحدهم فانه استلم المبلغ وعاد على السفينة نفسها وهذا نادر فلا يلتفت اليه ولا يقاس عليه اما الذين كدوا وجدوا واثروا في اميركا فلو كانوا يشتغلون بجد واستقامة في بلادهم على نحو كدهم هناك لكانوا يجمعون الثروة نفسها هذي شهادة الاكثرين سمعتها باذني منهم لان السوريين اكثرهم يحملون « الكشة » وما ادراك ما « الكشة » لا شك انك سمعت بها الا انك لم تعلم وزنها فكشة البعض تزن من ٥٠ — ٦٠ اقة وهي حرفة السوريين (الا من ندر منهم) يحملها الشاب من الشروق الى الغروب فلا ينزلها عن ظهره الا طلباً للراحة او في بيوت الذين يدعونه للشراء والذين

ذهبوا ضحية هذا الحمل في تلك البلاد الحارة يفوقون كثيراً الألى احتملوا واغتنوا وعادوا الى اوطانهم لان هذا العبء الثقيل لا يصبر عليه الا ذوو الاجسام القوية المعتادون عليه والعادة طبيعة ثانية ..

ومن المضحكات المبكيات قول احدهم لي بالحرف الواحد. كنا في بلادنا مكارين فصرنا هنا بغالاً . والبغال هناك تشتغل بجر القطر « الترامواي » اما الاحمال الثقيلة والعجلات الكبيرة فيجرها البقر لانها كثيرة فيها وقوية وصادفت كثيرين من الكتاب يزيد راتب كل منهم الشهري عن الالفي غرش مستقيمي السيرة ومع هذا فلا يمكنهم ان يقتصدوا شيئاً من دخلهم ويستفاد مما ذكر ان المهاجر اذا حذا حذو البرازيليين او المقيمين فيها ولم يفكر قط بالرجوع الى الوطن فانه ينفق دخله مهما كان اذا لم نقل انه يستلف زيادة عنه لانه في ساعة واحدة اذا دخن « اركيلة » ولعب دق « بيلياردو » وقلب كم « قبوعة » وامر لزبد ولعبيد بمثلها فلا يخرج الا بعد دفع المائة غرش وقل اكثر واعرف من هولاء الشبان كثيرين قضوا في دار الغربة ريعان شبابهم ولم يزيدوا عن الحالة التي كانوا عليها وكثيرون منهم يشتغلون فاذا تيسر لهم كم غرش فلا يعودون الى الشغل حتى ينفقوا اخر فلس منها فضلاً عن الذين انهمكوا في الرذائل (وطرقاتها هناك رحبة) ففقدوا شرفهم وصحتهم ودراهمهم ويسوءنا ان نقول انهم كثيرون ومنهم من فقدوا الحياة ايضاً وفي مقتل م . س اللبناني من شرتون تذكرة وعبرة فليعتبر ذوو الالباب

ومما يذكر عن استقامة بعض النساء السوريات ان امرأة اسمها ام يونان من مينا طرابلس عثرت صدفة بمنديل (محرمة) فيها ١٠٠ الف غرش (عملة ورق) وكانت حديثة العهد بالمهاجرة فلا تعلم من اللغة البرازيلية (البورتوغالية) الا كلمة نعم « سي » فاسرعت الى اول مسكن تسأل ربته اذا كان ما لقيته لها ولما لم تكن تعرف من اللغة سوى (سي) كما اشرنا قالت لها (سي سنيورا) كانها تقول لها وجدت هذه الدراهم فاذا كانت لك تأخذيها الا ان تلك السيدة لم تدرك مرادها وحسبت انها تريها الدراهم لتشاغلها او انها تقصد حيلة اخرى فطردتها بقولها (فاينبورا) اي اخرجي خارجاً فذهبت الى المسكن الاخر وقالت كما قالت هناك

فسمعت الجواب نفسه وهكذا من منزل الى اخر وهي تقول (مي سنيورا) فتجاب (فاينيورا) الى ان عثر بها احد السوريين المستقيمين فاخذها الى « البوليس » وقص عليه امرها فاستلم منها الدراهم وديعة واعلن عنها في احدى الصحف المحلية فلم يلبث الذي اضاعها ان جاء واستلمها وقال لام يونان (او بريكادو) يعني يمنون « وممتونيته لها بزيادة » وكان بعد ان قصت علينا هذه الرواية كما ذكرناها ان آخذها بعض الحاضرين على عملها فقلت دعوها فلقد عملت بصوت الضمير فالشرف لا يكون بكثرة المال وانما هو بالصدق والاستقامة

والعادة المرعية في تلك البلاد هي ان باعة السلع الحاملي « الكشة » مجبرون بفتح باب الديون واسعاً والا فلا يبيعون ولذا ترى كثيرين من الباعة الفقراء لهم ديون تبلغ « الكونتين » والثلاثة (الكونت عشرة الاف غرش) فما زال يتعاطى الحرفة نفسها فهو آمن على ديونه ولكن اذا توقف توقفوا هم ايضاً عن الدفع اليه مدعين انهم يحتاجون الى اشياء كثيرة فاذا ابتاعوها من الغير فلا يبيعهم الا نقداً وهكذا يضطر البائع اما ان يقبل منهم (من الجمل اذنه) ويعود مسروراً من الغنيمة بالسلامة او ان يتابع الحرفة فيستلم بضاعة جديدة ويسلفهم منها كما كان يفعل قبلاً حتى اذا انتهى الشهر جاز له ان يقبض شيئاً من الدين حسب العادة لانهم لا يدفعون الا في آخر الشهر وقل من تعاطى التجارة في البرازيل ولم يخسر من ديونه قسماً مهماً ٠ وعرفت كثيرين من الشبان الذين باعوا بضاعتهم بالدين ولم يستطيعوا ان يستلفوا غيرها فداروا في الاحياء يطالبون بدراهمهم حتى افضى بهم الحال الى انفاق المكسب ورأس المال (والتاجر عمره لا ياخذ) ولكن منهم من لا يطاوعهم شرفهم على هضم الحقوق ويرون ذواتهم قاصرين عن جمع الديون في وقت وجيز فيقعون في حيص بيص ويلازمهم الكدر واليأس الى ان يلازموا الفراش فيزيدون في الطين بلة وكل من تطول علته هناك فبشره بخراب عاجل لان نفقات المرض غير نفقات المعيشة فاجرة الطبيب عن الزيارة من المائة الى الخمسماية غرش بحسب المكان والزمان واذا كان المريض خارج المدينة على بضع ساعات فيطلب الطبيب عن كل ساعة ٥ الاف غرش وقال لي م ٠ س من لبنان انه حاول مرة اطلاق بندقيته فاطارت راس اصبعه من اليد اليسرى فسامه الامر اكثر من

٥٠ الف غرش للطبيب والصيدلة فتأمل

اذا كان المريض غريباً وليس له من يعتني به فينقل الى المستشفى ويعالج فيه على نفقة الحكومة

افادنا طبيب السفينة ان اسرة كانت تعيش في فرنسا عيشة فقرية بدخل يبلغ ٦٠٠ فرنك سنوياً فباعت كل ما لها وجاءت الى بونس ايرس فصارت تربح ٣ الاف فرنك سنوياً الا انها تكاد تهلك جوعاً وليس لها ما تعود به الى وطنها لان دخلها في بونس ايرس لا يفي بحاجاتها ..

لقد كان السوريون نافذي الكلمة محبوبين من البرازيليين ومن اخوانهم في الوطنية فان التجار السوريين في البرازيل كانوا كلما قدمت باخرة من سوريا ينزلون اليها ويستقبلون ابناء وطنهم بكل ترحاب وكثيراً ما كانوا يختصون عليهم فانعكست هذه المحبة تمام الانعكاس واصبحوا مبغضين ومحتقرين كما شرحنا حال القادمين منهم حديثاً وروي لي عن ثقة ان بعض البرازيليين دخل يوماً على احد منازل السوريين فرآهم يأكلون اللحم نيئاً فتطير وذهب فاشاع ان السوريين يأكلون اللحوم وتوسع غيره بالاشاعة فنقلها وزاد عليها (من كيسه) الى ان شاع انهم يأكلون الاولاد الصغار مثل (الغول) (والبعبع) وحدث ان سورياً كان حاملاً الكشة ولا يعرف من اللغة البرازيلية الا « مي سنيور وسي سنيورا » (يعني وصل بالعلم الى درجة ام يونان) فدخل بيتاً لاحد البرازيليين وفيه صبية يلعبون فلما رأوه طار لبهم جزعاً وجاؤوا امهم يبكون قائلين يا اماه دهمنا (التوركو) الذي يأكل الاولاد فجاءت الام وسألته بلغة البرازيل أحقٌّ انكم تأكلون الصغار فاجابها (مي سنيورا) ظاناً انها تسأله عن شيء من البضاعة وهم بوضع (الكشة) على الارض فاسرعت ودعت زوجها فسأله نفس السؤال فاجابهُ (مي سنيور) فاستشاط غيظاً وكاد يقتله لولا بائع آخر دخل بغتة وفهم ما كان فاعتذر عنه للرجل والمرأة وانصرف السوريان كلاهما وصاحبنا الليب ... يكاد لا يصدق بالنجاة ...

حالة السوريين في البر

اذ قد شرحنا شيئاً عن حالة السوريين في المدن فعلينا ان نذكر بعض الامثلة عن احوالهم في البر بين تلك الاحراج الكثيفة والقرى العديدة البعيدة لتكون الفائدة اشد وضوحاً واوفى مراماً

شخص احد الفلاسفة في خطابه ذلك التنين الهائل ذا السبعة رؤوس مفعمة سماً زعافاً والاتجار في تلك الصحاري الواسعة اشبه شيء بالتعرض لتلك الرؤوس السامة من حيث كمية وكيفية المهالك التي تعرض للتجار في طرقهم فان تخلص احدهم بحذقه ودرايته من الاول فقد لا ينجو من الثاني وان نجا من الستة فلا ينجو من السابع لانه شر منها كلها وهذه المهالك سبعة بعدد الرؤوس المذكورة وهي :

اولاً . قطاع الطرق في تلك الغابات والادغال فان قتل الانسان عندهم (بشخرة) وكثيرون لاقوا حتفهم فيها وذهب دمهم هدراً

ثانياً . وعورة الطرقات والتعرض لنفح البرد ولفح الحر فكم من الذين اصيبوا بالرعن من شدة الحر

ثالثاً . الوحوش الضارية والافاعي الهائلة فانها تجعل النوم محرماً على العيون في تلك الفلوات السحيقة

رابعاً . ان الطمع يحمل بعض البرازيليين الذين يحلون الباعة عندهم على ان يفتكوا بهم ويسلبوهم دراهمهم وامتعتهم ويطرحوهم في الاودية كما حدث للمرحوم طانيوس البركات من قرية الفحيلة (هذه القرية واقعة شرقي مدينة حمص)

خامساً . ان الزنوج الوطنيين الذين يستأجرون لنقل البضاعة قد تسول لهم نفوسهم السوء فيثبون على البائع على غرة منه فيقتلونه ويفوزون بماله او انه يغلط

لم في القول لمخالفتهم فيجندلونه صريعاً كما اصاب المرحوم يوسف سكاف من زحلة ولكثيرين غيره ممن ذهبوا شهداء التجارة

سادساً . يحدث كثيراً ان الطريق التي يسير فيها البائع لاول مرة يكون قد سار فيها غيره من قبله فاذا التقيا يبتدي هذا بتقريعه فيحتدم الجدال بينهما وكثيراً ما يفضي الامر الى وقوع احدهما قتيلاً

سابعاً . ان البائع يضطر الى فتح باب كبير للديون فاذا لم يفعل فانه قد لا يبيع بخرجه والربح يفر (اكل الخرنوب هين ولكن ...) وبعد ان يبيع البضاعة (لو سئل كم قبض من اثمانها لاجابنا الربع او اقل) يسعى لجمع الديون وهناك الشقاء بتمامه ... هناك يلزم الدائن حكمة سليمان وصبر ايوب ودهاء لقمان

يأتي احدى القرى فيسأل عن (فلان) احد مديونيه فيقال له رحل (وحصل ان كان فيك تحصل) فيسأل عن غيره فيقال له مسكين تجارته بالبن كانت خاسرة فيذهب اليه ويطالبه فان طالبه بلطف وكان ذاك من الذين يرغبون في وفاء ما عليهم فيقول له ليس لي الا كم راس بقر وثمن الواحد من ٧٠٠ الى ٨٠٠ وهو لا يساوي اكثر من ٣٠٠ — ٤٠٠ غرش فيضطر ان يقبل ويبيع البقر بالاسعار الاخيرة المذكورة (مكسب جحي بالبيض) . وبعد (كدي وكدي) يعطيه بالباقي تعهداً (كمبيالة) مثل القراطيس المالية المذكورة . هذا اذا توفق اما اذا خانه الحظ وكان غريمه ممن يهضمون حقوق العباد (من الذين لحسوا الدبس عن الطحينه) فيغلظ له في الجواب وان راجعه بالمطالبة فيتهدده بالقتل وان لم يكف عنه فيعطيه ولكن من فم المسدس .. ويدعي بعدئذٍ انه قتله دفاعاً عن نفسه ولم نسمع بامضى من يد البرازيلي في القتل فهو اذا اشهر المسدس فلا يعيده الا بعد قضاء الغرض ولا غرو فالبرازيليون قوم اشتهروا بسفك الدماء وباصابة المرمى وكثيرون منهم يصوبون السهم او البندقية نحو احدى عيني الحيوان فيصرعونه لكيلا يصاب جلده فيحط ثمنه . فتأمل

واذا كنا قد ذكرنا هذه المخاطر فاذا نقول عن سفر الباعة في النهر اسابيع بل اشهراً عديدة وهم في كل لحظة عرضة للمتوحشين من الجانبين فان من هؤلاء

خلقاً كثيراً يسكنون المغاور ويأكلون الحيوانات وعشب الارض شأن وحوش البرية

اما الديون ففي تقييدها ما يضحك الثكلى واليك المثال :

فان احد المهاجرين وهو ع . ز من بسكنتا وشريكه ط . ش يقيدان الديون هكذا :

عند العبده وصهرها ٤٠٠٠ غرش

على درب دوفينو عند صاحب الدكان ١٥٠٠ غرش

وغيرها كان يقيد هكذا :

عند يلي على بابها جرس ٢٥٠٠ غرش

عند المره الحبلي ١٤٠٠ «

عند يلي عطريق البوندي ٦٥٠ «

عند ابو اللحية الطويلة ٣٤٠٠

ملحة . ان صاحب اللحية المذكورة ادرك كيفية تقييد القيمة عليه فذهب وحلق لحيته وجاء الى البائع طالباً منه ان يعلمه بما له عليه فقال له لا اعلم ان لي عندك دراهم فاجابه بلى الا تذكر الاشياء التي اخذتها منك فقال نعم اذكرها ولكن هي على صاحب اللحية الطويلة فاغرب الرجل في الضحك وقال له انا هو صاحب اللحية الطويلة في الامس

وغيرهم وهو ج . ض من الضنية (قرية بقرب طرابلس) كان يقيد الديون على باب الدكان باصطلاح غريب فيقيد المائة هكذا ٥ والالف هكذا + وقس عليها في هذا الباب فاتفق انه غير مكانه فبقيت الارقام المذكورة على الباب واختلف مرة هو واحد مديونيه على ٢٥٠٠ غرش ولما لم يقنع بكلامه و برهانه طلب اليه احضار الباب ليحبط عزمه اما هو فلم يبال باحبولته وذهب واشترى مصراع الباب الذي قيد عليه القيمة (فنتمه) وقد انتع من حمله (انتع الرجل عرق كثيراً) حتى كاد (يتمزق) الى ان وصل به ولكن بحالة يرثى لها لان المسافة قيد بضع ساعات فسمع به احد كبار الزراع ويسمى هناك (افزنديري) فسوى بينهما واخذ المصراع ليحفظه عنده اثراً مأثوراً لهذه الحادثة

اما النقود المتداولة في البرازيل فاصغرها قطعة من النحاس مقيد عليها عشرين (رَيش) Reis والريش جزء من مابة من الغرش فاذا كان المايـة « ريش » تساوي غرشاً فالقطعة المذكورة تكون خمس الغرش وعلى هذا الاصطلاح فالثلثماية ريش تساوي ٣ غروش و ٤٠٠٠ ريش تساوي ٤٠ غرشاً وهكذا يتيسر فهم هذا الاصطلاح بقطع منزلتين من اليمين فالباقي هو الغروش المطلوبة. ويبقى لفظ الرَيش (معمولاً به الى المليون وبعده يسمون كل مليون (رَيش) اعني ١٠ آلاف غرش (كونت) ولهم من النقود ايضاً قطع من (النيكل) تساوي الواحدة غرشاً وغيرها غرشين واخرى اربعة وبعدها دراهم الورق وهذه تبتدي من ٥ غروش الى ١٠ و ٢٠ و ٥٠ و ١٠٠ و ٢٠٠ و ٣٠٠ و ٥٠٠ و ١٠٠٠ و ٢٠٠٠ و ٥٠٠٠ غرش فقط

الصحافة العربية في البرازيل

البرازيل تضم نحو ٥٠ الفاً من السوريين الالى قدموا اليها للاتجار فبعد ان ثبتت اقدامهم فيها اخذت الصحف العربية تظهر رويداً رويداً بفضل من شدوا ازرها من ابناء الوطن الكرام واعمدتها ملآنة بالثناء على اريحيتهم وعواطفهم الى اخوانهم وابناء جلدتهم وعلى سعيهم في ترقية الجالية السورية ولا يخفى ان الصحافة اقل ما توصف به انها تهذب الاخلاق وترقي الالباب وترشد الانسان الى طرق الفضيلة وتبث فيه روح النشاط والنجاح وتناديه بوجوب المحافظة على الجامعة وتستصرخه في سبيل المحبة الوطنية فضلاً عن كونها صلة بين الوطن والمهاجرين

وارباب الجرائد كلهم فيها من الأُلى حنكهم الدهر وقلبوا الايام ظهراً لبطن فعرفوا ما هو الدواء لترقية السوريين وكيف يتم الارتقاء فوقفوا اقلامهم على تحبير

المقالات التهذيبية ونفوسهم على انتقاء المواضيع الادبية وعرف اكثرهم بالنزاهة وشرف المبدا وصدق العواطف فضلاً عما اشتهروا به من طول الباع وغزارة المادة وسرعة الخاطر وتوقد القريحة

والصحف هناك على اختلاف نزعاتها تنادي كلها بوجوب اتحاد الكلمة و بالافتخار بالجامعة الوطنية ولو شطت الدار فهناك لا يُعرف الارثوذكسي من الماروني او غيره من المسيحيين الا في الكنيسة ولا يفرق بين هولاء والمسلم والشيعي الا في كيفية تقديم الصلاة فقط فانهم كلهم اخوان في الوطنية .. اخوان في الجبلة .. اخوان في الجامعة العثمانية .. كلهم سوريون . ولفظ الاسم السوري مجرداً يكاد يكون بلسماً لجراح افئدة من عرفوا ما هي الوطنية وهذا من اعظم دواعي الحضارة لانه يأول الى ازدياد الالفة بين السوريين على اختلاف مذاهبهم والالفة تضم القلوب وتجمع الكلمة والاتحاد عنوان النجاح والقوة يؤيد ذلك ما جرى لنا قبل ان نغادر جنوا فلقد طلب اليَّ رفقائي في الرحلة ان اذود عنهم ابان السفر فامتثلت مشترطاً ان نكون كلنا يداً واحدة وقلباً واحداً واول عمل اجريناه بفضل اتحادنا اننا استبدلنا اماكن النوم التي عينوها لنا في الباخرة باحسن منها وانظف كثيراً مع انها كانت لركاب غيرنا من الايطاليين الذين يفوقوننا عشرة اضعاف فضلاً عن كون الباخرة ايطالية فتأمل نتيجة الاتحاد

ولقد عاينا والحق يقال اكثر ابناء الوطن هناك يجودون بكل مرتخص وغالٍ في اسعاف المشروعات الخيرية وتهذيب الشبيبة السورية وقلما يضنون بشيء في سبيل مجاراة الامم الراقية فبفضلهم انتشرت الجرائد العديدة التي كان عدم الثبات والاستعداد داعياً لسقوطها وكذلك قل عن الجمعيات التي تأسست ولم تثبت طويلاً وعدم الثبات مشهور عن بعض السوريين اما الصحف الحالية فاننا نرجو لها الثبات وان يكثر مريدوها و يزداد عدد مشتركيها تنشيطاً لها ولامثالها فتزداد تقدماً في معارج الفلاح

وتأدية الاشتراك فرض واجب على كلٍ من المشتركين ومقدمة لثباتها واعظم داعٍ لنمائها وازديادها ولا يخفى ان تنشيط الصحافة وتأسيس الجمعيات الخيرية هما اشرف اعمال السوريين اينما حلوا وان اقبالهم وسعيهم المبرور في عقد الجمعيات

الخيرية يبشرنا بمستقبل حسن ولا غرو فالجمعيات الخيرية التي تمد يد الاسعاف الى اولئك الذين خانهم الحظ فاقعدهم الداء العضال او عضهم الدهر بنابه فتكون لكل واحد منهم وطناً عزيزاً واخاً حبيباً واماً حنوناً لمي جديرة بكل عناية ومساعدة

ومن مآثر السوريين الحسان سعيهم بفتح المدارس وتشييد الكنائس ففي سان باولو كنيسة حديثة العهد بديعة للروم الارثوذكس فضلاً عن الكنائس (والكابلات) العديدة لكل الطوائف في انحاء البرازيل وكذلك قل عن المدارس فيها

ولا يشين الصحافة في البرازيل الا تلك الرسائل المأجورة التي يتخذ اولوها رقاع الصحف آلة لثلم الشرف وتدنيس المجد والثرثرة فضلاً عما يدسون فيها من السباب والبذاءة . ولاحرى بنهضة سورية في بلاد غربية ان تنبذ عنها امثال هذه الرسائل وعلى الصحافة ان تعمل على طرحها جانباً وحشرها في زوايا الاهمال والسعي في نصح مرسليها وكف يدهم عن مداومة العمل

قد لا يخلو مشروع في العالم من مغامز ولا يتسربل امر عالمي بثوب الكمال والتنزه عن كل شائبة الا ان السعي في اصلاح السيئات واستئصال بذور الشقاق ضربة لازب على كل وطني غيور اقول هذا وانا عالم ان للصحف العربية منة كبيرة وفضلاً عظيماً وانها كانت سبباً لشهرة كثيرين من السوريين متمنياً لها فوزاً مبيناً ولاربابها اجراً جزيلاً آملاً ان يعمدوا الى اصلاح الخلل الذي ذكرته باصغرين ملوءهما النصح والاخلاص والله يجزي المصلحين خيراً . اه

نصيحة لمن رام المهاجرة

ايها القاريء الاديب اذا كنت قد تدبرت كل ما مر بك اذا كنت قد وقفت على بعض مشاق السفر واخطاره وسمعت قول القائل

ما زالت الارض ارضاً والسماء سما
ليس المخاطر محموداً ولو سلما

ورايت الا المهاجرة وصرت ترى القعود ذلاً او ضرباً من الحماقة واستغنيت عن الوطن وقلت كما قالوا قبلك (عفنا الوطن وبلادنا) فلا باس عليك اذا كنت ممن يجدون وراء الرزق حلالاً طيباً ولكن اسمح لي ان اسألك على اي شيء تعتمد في سفرك هذا ؟ أعلى استعدادك الادبي ؟ ام على اللغات التي برعت بها كالفرنساوية والانكليزية ؟ ام على علومك التي احييت الليالي في سبيل تحصيلها فصرت كاتباً او شاعراً او متشرعاً او غير ذلك ؟ اذا كنت تعتمد على احد هذه العلوم او على اكثرها فاسمح لي بعد امرك ان اقول لك (كله حطه بالخرج) ....

لاني شاهدت كثيرين ممن قضوا بضعة اشهر في سبيل الحصول على خدمة في احد المخازن التجارية ولم ينالوا المواعيد واحدهم له تسعة اشهر وهو يقيس الاسواق كل يوم مراراً ولولا ابنه لهلك جوعاً وهو يحسن اللغة البرازيلية واصدقاؤه عديدون وله منهم وسطاء ومع كل هذا فهو لم يزل حليف البطالة - نعم اقول ولا اخشى ملاماً فاني كنت قبلاً مثلك لا اقدر امثال هذه المصاعب حتى فحصتها فحصاً دقيقاً (كفحص توما للسيد المسيح) اختبرت الامر بنفسي ولم اتكل على احد فانا اقول مع الدكتور فياض

(وانا ادرى فقد جربت بي)

امتحنتها امتحان الذهب في الكور ،

وكذلك الدينار يظهر حسنه   من حكه لا من ملاحة نقشه

وبعد هذا الامتحان عدت الى نفسي عالماً اني ما كنت الا في غرور ٠٠ لا تقل باصاح اني سددت ابواب المهاجرة في وجهك كلا وانما هي نصيحة اخاء ٠٠ نصيحة وطني غيور ٠٠ وان سالتني فعلى اي شي اعتمد اذا كنت لا اوى الا السفر فاقول لك على دراهمك نعم نعم على دراهمك التي تتجر بها بضع سنين باستقامة وجد واقتصاد وانا اكفل لك النجاح باذن الله هناك وهنا ٠٠ فان قلت ليس لي ما تطلبه فكيف العمل اجبتك اذا كنت لا ترى المخاطرة بنفسك شيئاً مذكوراً وكنت تعلم منها المقدرة على احتمال المشاق والشدائد (وحمل الكشة) فانت ادرى فاختر لنفسك ما يحلو ولكن عليك ان تضيف الى نفقات سفرك اربعة الاف غرش على الاقل حتى اذا وصلت بالسلامة تستأجر حجرة وتأخذ رخصة بالبيع بمساعدة الاصدقاء الذين تأخذ لهم كتب الوصاية وتصحب من يرشدك الى الطرقات في بداية الامر ولا تقل لا لزوم للدراهم فلسوف تقع ٠٠ لا تقل اعرف فلاناً ٠ وفلان ابن وطننا ٠٠ او فلان صديقي الحميم ٠٠ اياك والاعتماد على هذه الامور لانها لا تفي بحاجتك وفي البرازيل بنوع خاص لا صداقة الا بوجود دراهم فاذا كنت خلواً منها فانك عدو لدود ولو كنت ابن عم وما ذلك الا من مآثر بعض السوريين غير المستقيمين فاذا كنت لا تعتمد على ما ذكرته لك او على اناس صادقين كاعتمادك على نفسك فلا تفعل ٠٠ لا تركن الى التصور الوهمي وتسلم نفسك الى العذاب فتندم ولا يجديك الندم نفعاً فقد شاهدت كثيرين يتسولون ودموعهم تترقرق على وجناتهم شاهدتهم وايم الحق والفؤاد يكاد ينفطر حزناً عليهم

والنتيجة من هذا القياس اما ان يكون لك دراهم للاتجار بها او ان تكون صحتك جيدة وجسمك قوياً على احتمال الاثقال (وكنت معتاداً) او ان تكون قد خابرت من تعتمد عليهم قبل سفرك واخذت منهم جواباً ناطقاً باستحسان مهاجرتك والا فاعدل ووفر عن نفسك مشاق ومتاعب انت في غنى عنها مهما كنت زرياً فالخبز الكفاف في الوطن خير لك من الغنى مع الذل والاهانة ان لم نقل الامراض (والضربات الحقنة) وها الان امامي اسرة قضت في دار الغربة ١٧ عاماً وهي عائدة بجيوب فارغة واعلم ان من السوريين من هاجروا واحتملوا

احتمال الشهداً وصادقوا كثيرين من البرازيليين ومنهم من امتزجوا بهم امتزاج الماء بالراح وتزوجوا ببناتهم الا ان هذه الصداقة وهذا الامتزاج لم يكفا التهكم عنهم كقولهم لبعض السوريين ٠ انت مليح كانك لست (توركو) او شبعانك تكون (توركو) او انت صرت برازيلي فلست (توركو)

فمن هذا الكلام تعلم ما هي حالة بعض السوريين المهاجرين وما هي منزلتهم في عيون ابناء البلاد البرازيلية ومن كان له اذنان للسمع فليسمع

واذ قد فهمت مما مر بك ان استلاف البضائع والدراهم في البرازيل لاجل مسمى قد اصبح في خبركان (او كانت حمامة وطارت) وعلمت ان السوريين انفسهم يتجنبون مخاطبة ابناء وطنهم المهاجرين حديثاً وان كثيرين من هؤلاء المهاجرين ليس لهم مكان يأوون اليه واقتنعت بكلامي عالماً ان غايتي شريفة ونصيحتي خالصة وعولت على الابقاء في الوطن فلا تيأس بل عد الى نفسك وصالح عزمك فاليأس ليس من الصفات الرجولية لان الانسان يتقلب بين عسر ويسر بتقلبات الزمان والمكان

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر

والانسان احد بني آدم وفرد من افراد المجتمع البشري خاضع لصروف الزمان وقد يكون جده سبباً لتعاسته احياناً وعليه فالعسر واليسر والسقام والعافية وسواها من خصائص الانسان اميراً كان او فقيراً وقد جمعها احد الشعراء بقوله

ثمانية خصت بها سائر الورى
ولا بد للانسان من ذي الثمانيه
سرور وحزن واجتماع وفرقة
وعسر ويسر وانسقام وعافيه

وهب ان البلاد التي كنت تنوي المهاجرة اليها هي منى فؤادك وموضوع اماليك او هي لك واخذت منك قسراً فعليك ان تلجاء الى الحلم والتبصر شان الرجل الحكيم فلست اعظم من اشيل بطل اليونان وعنترتهم الذائع الصيت الذي دعاه المؤرخون رجلاً وهمياً لشدة باسه وبطشه في الحروب فلقد اخذ منه اغممنون زعيم زعماء اليونان تلك الفتاة الجميلة التي اخذها في حرب الترواديين من جملة الاسرى

وجعلها موضوع حبه حتى اشتد غيظ اشيل وكاد يبطش باغممون لولا توسط الالاهة اثينــا (على زعمهم) وصدها اشيل عنه وقد اثر هذا الامر في نفس اشيل جداً فاعتزل الحرب وترك قومه عرضة لسيوف الترواديين رغماً عن سعي قومه في استرضائه الى ان قتل صديقه فطرقل فنزع عنه الحقد وصالح اغممنون ونهض ففتك بالترواديين وبدد شملهم وقتل هكتور بن فريام ملك ترواده . واشيل هذا لم يحصل بطل قبله على المنزلة التي كانت له في عيون اليونان فقد كانوا يزعمون انه لم يمس بجرح قط

Achille était invulnérable (myth)

وكثيرون من المشاهير صدوا عن منامهم ولم يجدهم تعلقهم به فتيلاً

وان رددت فما في الرد منقصة

فان قبلك موسى رد والخضرُ

وانت اذا بقيت فانما تبقى في وطنك بين ذويك وآلك لا ينجرح فؤادك بذكر الاوطان كما لو كنت بعيداً ولا تهمل عيناك الدموع تشوقاً فيما لو انفردت وحيداً فلا تقل كل مكان لنا وطن فقد قال الشاعر

بلادي وان ضاقت عليّ رحيبة

واهلي وان ضنوا علي كرام

وحبذا لو كانت الشقة بيننا متراميه سهلة العقبات لكنت اقول لكل من يحلم بالمهاجرة من غير ابوابها تعال وانظر . . ولكن بيننا و بينهم هوة عظيمة وعندي ان كلامي هذا سوف يحل محل القبول نصيحة اخاء ومحبة عند من عرف قيمة النصح وقدره قدره اما الذين يعمي بصيرتهم الطمع والربح الوهمي ولا يلتفتون اليه اولئك ولئن قام واحد من الاموات فلا يصدقونه فدعهم في غيهم يعمهون

ياعاذلي في مقالي الا ارعواء ومهلا

لا يعرف الصدق الا ولا النصيحة الا

العود من البرازيل

بعد ان صرفت في البرازيل اسابيع قليلة واطلعت فيها على ما يهم المهاجر من التجارة والاعمال رايت ان لا اطيل الاقامة توفيراً للوقت وحرصاً عليه من ان يذهب سدى وهكذا ازداد بي الحنين الى الوطن فودعت الاصدقاء وعدت مثنياً على اخلاصهم وغيرتهم

اذا نكرتني بلدة او نكرتها
خرجت مع البازي علي سواد

يوم الاربعا في ٩ اب سنة ١٩٠٥ ركبت السفينة ليزاند Lesandes من شركة ترانسبور مريتيم الفرنساوية وهذه الشركة اسست سنة ١٨٦٥ ولها الآن ٢٤ باخرة منها هذه الباخرة المذكورة طولها ١٢٨ متراً بعرض ١٢ محمولها ٤١٦٣ طناً وقوة آلتها البخارية ٢٤٠٠ حصاناً وليزاند اسم سلسلة جبال في اميركا الجنوبية

فمخرت العباب الساعة الثانية بعد نصف الليل من صباح الخميس قاصدة مرسيليا وستعرج على دكر ولاس بلماس واستفهمنا عن ميعاد وصولها الى مرسيليا فقيل لنا بعد ٢٠ يوماً فعلمنا اننا خدعنا من مصرف (بنك) م كوبنياجن وشركاه في شارع بريمايرو دي مارسو نمره ٤١ في ريو دي جانيرو وهو الذي اعطانا رقعة السفر واثبت لنا ان الباخرة تصل في ١٦ يوماً

وكان عدد الركاب فيها ٣٠٠ منهم اربعة عشر من السوريين والباقون من الايطاليان والفرنساويين والاسبان والمسافة بين ريو دي جانيرو ودكر ٢٧٦١ ميلا وكانت السفينة تقطع كل يوم ٢٦٣ اي نحو ١١ ميلاً في الساعة وفي اثناء الطريق قبل وصولنا الى دكر حدث ان اثنين من الركاب الايطاليان مرضا وقضيا نحبهما فارسلا الى قعر اللجة ليلا اسم الاول ريكوفومت وله من العمر ٥٠ عاماً واسم

الثاني بيترو ماشين وعمره ٥٥ عاماً (نقلا عن مذكرة طبيب السفينة)

دكر Dakar

في الساعة الثانية بعد ظهر الاحد الواقع في ٢٠ اب تجلت لنا مدينة دكر وهي احدى مدن السنيغال Sénégal الواقعة على شاطي افريقيا الغربية والسنيغال اسم نهر افريقيا الكبير وباسمه سميت مستعمرة السنيغال الفرنساوية وهي بالقرب من سنيغامبيا Sênégambie الواقعة في افريقيا الغربية ايضاً وسكانها ١٢ مليوناً

وعاصمة السنيغال هي مدينة سان لويس وبعدها كوناكري وبين هاتين المدينتين سكة حديدية وبلغنا ان في هذه المستعمرة ما يزيد على ٢٥٠ الفاً من السكان بينهم كثيرون من السوريين وهم يشتغلون بالتجارة او بصناعة البناء ونحوها وتجارة الكاوتشوك رائجة فيها فهو يستخرج من الشجر كالصمغ ويهيأ ويرسل الى اوروبا وبلغنا ان بعض السوريين كانوا يضمون معه قطعاً حديدية ويبيعونه الى وكلاء المعامل موزوناً فلم تلبث خدعتهم ان انكشفت وعاد الامر عليهم بالوبال ووقوف الحال .. وهذه عاقبة الطمع

ان علماء هذه المدينة يتكلمون اللغة العربية الفصحى وقد شاهدنا التلال الخضراء القائمة غربي المدينة تنسحق على اقدامها الامواج ووراء هذه المدينة سهول رملية شاسعة ملآنة بالاشجار ومن هذه الاشجار الجوز الهندي والرمال المذكورة تستلفت النظر لبياضها الناصع وتذكر الرائي بالرمال الموجودة بين عكا وحيفا وهذه المدينة تسمى دكر من باب تسمية الكل باسم البعض لانها قسمان قسم الى يمين الداخل اليها ويسمى موريه Morée وهو عبارة عن جزيرة في منتصف البحر ابنيتها عديدة ومغروساتها كثيرة وقسم الى اليسار ويسمى دكر وهو حديقة غناء تبهج النظر فكأنها تسربلت الثياب السندسية رمزاً الى انها عافت المحل

فلبست طراز الخصب

فظننت نفسي في ربيع دائم

لولا اشتداد الحرّ في فلواتها

ولا غرو فهي احدى المدن الافريقية وقد زارها (آب اللهاب) و يفصل بين القسمين لسان البحر والى الجهة الغربية جزيرة اخرى غير مأهولة يفصل البحر بينها و بين المدينة وثمارها كثيرة منها الموز وجوز الهند وقصب السكر والليمون والتين والعنب وغيرها ومرفأوها جميل جداً يشبه مرفا مدينة بيروت الا انه اكبر منه وسكان هذه المدينة يبلغون ٢٠ الفاً وكلهم من الزنوج و يتكلمون اللغة البربرية (لغة الوطن) واكثرهم يحسنون الفرنساوية ومنهم من يحسنون العربية كما ذكرنا والذين جيء بهم الى سورية يسمون دكارني (نسبة الى دكر على غير قياس)

وقد جاء الى السفينة عدد كبير من الشبان والاولاد عراة الاجسام يسترون عوراتهم بقطعة من الخام اونحوه راكبين زوارق رفيعة طويلة يصنعونها من الشجر ولها مجاذيف يحملونها بايديهم هي اشبه شي بالملاعق الخشبية وكانو اثناء وصولهم يشيرون الى الركاب طلباً لفضلات الطعام او لقطعة من النقود (نحاسه) يطرحها احد الركاب في البحر فيطرحون انفسهم وراءها فالسابق منهم الجواد فكان منظرهم من المضحكات ورأينا غيرهم يلبسون الثياب الملونة فأحدهم كان لابساً لباساً اصفر وحذاء مثله على نحو المست القديم وفوق اللباس قميص ابيض (صاية) طويل يعلو راسه (طربوش) بلا طرة (شرابة) وغيره يعلو راسه عراقية بيضاء كالتي تلبس في بلادنا السورية تحت (الطربوش) المغربي ولم تقع العين على اثنين يلبسان ذات الملابس فلكل واحد لبسة تختلف تماماً عن غيره وشاهدنا كثيرين منهم على روؤسهم البراطل (البرانيط) البيضاء كالفرنساويين فالناظر الى هولاء الزنوج الطارحين انفسهم في البحر ازواجاً وافراداً وراء (النحاسة) واولئك المختلفي الالبسة والمشاهد حركاتهم كانهم السعادين يحسب نفسه انه في مرسح يمثل فيه (السيناماتوغراف) الصور المتحركة وكان احدهم يبيع الطيور

المخططة ذوات الالوان الجميلة التي اكثرهـا يشبه الطاووس بالوان ريشه الا انها صغيرة

وكنا وعدنا ذواتنا ان نذوق ثمار هذه المدينة

فذقناها ولكن في المنام

لاننا تحت حكم الحجر الصحي اينا ذهبنا ...

اما ابنية المدينة الجميلة فهي تشوق الناظر لا سيما سراي الحكومة فهي في منتصف المدينة بديعة المنظر ذات هندسة لطيفة كانها حليتها الفريدة لتفردها عن غيرها من الابنية بالاتقان واحكام البناء

وقد نمي الينا ان الحكومة الفرنساوية مهتمة بامر هذه المدينة وساكنيها اهتماماً شديداً لانها مفتاح المدن الافريقية وحكى لنا احد الركاب انه مرَّ بها منذ ست سنوات فلم تكن شيئاً مذكوراً ولم تكن الا مجموعة ابنية قديمة العهد تدل على انحطاطها كثيراً حتى بين اخواتها من المدن الافريقية اما اليوم فالحكومة باذلة قصارى الجهد في تحسين حالتها وجعلها من المدن الراقية فاقامت لها مرفأً كبيراً وحصنتها بالقلاع والمدافع ووضعت في مينائها السفن التي تنزع الرمل دراكات Dragues وفي الغروب انزلت الراية الفرنساوية على نغم الموسيقى العسكرية في احدى السفن الحربية الاربع المقيمة في الميناء لحراسة الثغور السنيغالية وكان احد الشبان الزنوج الذين جاءوا الى السفينة على الزوارق المذكورة قد طلب من احدى الاوانس الفرنساويات ان تطرح له (نحاسة) فقالت له لم يعد معي قطع نحاسية . قال فقطعة خبز . قالت ليس لي . قال فكاس خمر (كذا) ... فقطعة حلوى ... فقطعة جبن ... ف .. ف .. ف .. وكان لا يجاب الا نفياً فالتفت اليها قائلاً اذن ليس عندكم شيء ؟ فقالت لا قال فهلمي اليَّ وخذيني لك فعندي اشياء كثيرة .. قالت حبذا فهل لك ان تطلب يدي من والدي ؟ (طلب اليد عند الافرنج علامة الخطبة) (حنا واستحى) قال حباً وكرامة ولا يمنعني الا كون السفينة تحت الحجر الصحي فلا استطيع الصعود اليكم فالى الملتقى (اور يفوار) وانقلب بزورقه الى الوراء وهو يحدجها بنظره كأنه يتزود من مراها

قبل الفراق ويحييها تحية الوداع

وقد ارسلت الحكومة المحلية اربعة شبان مع باخرتنا مخفور بن محكوم عليهم الى مرسيليا ليتمموا مدة سجنهم فيها وقد رافقتنا ايضاً ثلاث من بنات البغي (كانت القدرة ناقصة باذنجانه) فاستغوين بعض الركاب وسلبن ليهم فضلاً عن دراهمهم غير ان احداهن وهي فرنساوية كانت اصغرهن عقلاً واكثرهن تطوحاً في هوة الشهوات فخطر لها ذات ليلة ليلاء ان تراود اولئك السجناء ويظهر ان الاميال بينها وبينهم لم تكن بنت تلك الليلة فجاءتهم في منتصف الليل وكلمتهم من احدى النوافذ فثار احدهم كالبعير (يقبر طحيشه) وقطع سلسلة يديه الحديدية واستأصل حديد النافذة ورمى بنفسه اليها فأفاق الخفراء فارجعوه الى مكانه بعد ان زادوه تكبيلاً بالسلاسل والقيود ولما فهم الامر ربان الباخرة (القومندان) شرع يوبخها على هذا العمل الفظيع فاوسعته شتماً وبذاءة وتهددته بنشر اسمه واعماله الذميمة (الحق معها) وانها ستسعى لدى الشركة بطرده ولدى الحكومة بتجريده من كل الحقوق المدنية (جزاه واقل من جزاه) فهم (القومسير) بالقبض عليها وزجها في سجن الباخرة الا ان الربان منعه عن العمل تخلصاً من شرها ولسانها ...

وفي الساعة السابعة بعد غروب الشمس سارت السفينة قاصدة لاس بلماس والمسافة بينها وبين دكر ٨٣٦ ميلاً وكنا نشاهد عن اليمين الرمال البيضاء صحاري كبيرة الا انها بلاقع خاوية

في ٢٣ اب · نهضنا صباحاً فاذا امواج البحر تشمخ بانفها وتتسامى كانها تطاول السحاب والسفينة بينها

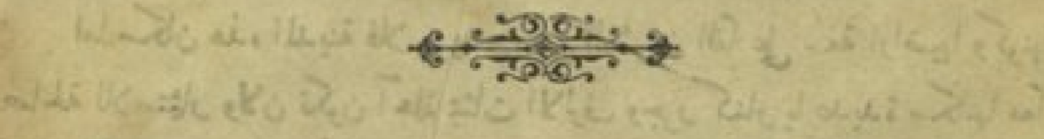
كرةٌ وضعت لصوالجة فتلقفها رجلٌ رجلُ

فقلت في نفسي كأن هذا المحيط العظيم قد اشعر باننا سنفلت من يده فازبد وارغى (شوط الوداع) ليجعلنا دائماً نذكر ما له علينا من الايادي البيضاء (واجبة) قال فيكتور هيكو شاعر الفرنسيس ونابغة القرن التاسع عشر أن امواج البحر تشبه قطيع الغنم وسمى الامواج غنم البحر ومما يدور في خلدي انه لو زار هذا المحيط قبل وصفه المذكور لكان سماها ذئاباً خاطفة وقال عنها ذئاب البحر

او اسوده الضارية

وهذا الاوقيانوس يسمى المحيط الغربي وقد تحولت اليه انظار الممالك جمعاء منذ افتتاح اميركا بعد ان كانت الاعناق متطاولة الى المحيط الهندي الا ان هذا لم يثبت له سالف مجده فانزاح عنه اسمه العظيم وتربع المحيط الاتلانتيكي في مكانه ولا غرو فالدهر ادوار

قرانا قبيل طبع هذا الكتاب ان امواج المحيط الاتلانتيكي صدمت احدى السفن الفرنساوية (من شركة المساجري) فخطفت خمسة من الركاب وابتلعتهم وكسرت جانب السفينة واصابت اثني عشر من الركاب ايضاً بجراح مبرحة قضت بوفاة احدهم وتهددت حياة غيره من المصابين بتلك الصدمة المريعة فتاً مل المثال ...



لاس بلماس Las - Palmas

قبل فجر الخميس الواقع في ٢٤ اب اقبلنا على مدينة لاس بلماس وهي احدى جزر كناريا الاسبانية تمتد من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي فتشغل مساحة طويلة اما مساكنها وابنيتها فمتوسطة الفخامة ولها مرفا صغير والبحر امامها يمثل خليجاً بموقعه الطبيعي وامتدادها من الشمال الى الجنوب وفوقها الجبال الشاهقة التي تعانق الضباب فتظهر للناظر كانها مكسوة بالثلوج مثل صنين في لبنان وعلى قمم هذه الجبال منائر عديدة واكثر بيوتها واقعة على طرفيّ المدينة وفي منتصفها رمال صفراء قامت تلالاً لكنها جرداء لم تستثمرها يد الاسباني ولو فعل لملأ ها بالكرمة والزيتون وغيرهما وتوفر له منها ربح عظيم كما فعل الالمان في حيفا فانهم جعلوا ارضها جنة غناء تعود عليهم وعلى غيرهم من السكان بالارباح الطائلة فالبلاد الاسبانية

ذات تربة مخصبة صالحة للمغروسات ولكن ما العمل فاذا دهم الفقر بلاداً فيصاب بنوها بالكسل وهو عنوان الفقر والانحطاط

على قدر اهل العزم تاتي العزائمُ
وتاتي على قدر الكرام المكارمُ

شاهدنا القطار البخاري يشتغل بنقل الركاب ذهاباً واياباً من اول المدينة الى الى اخرها « كالترامواي » الذي في طرابلس بين الميناء والمدينة ورأينا ايضاً ماذنتين قائمتين احداها في المينا والثانية في المدينة مما دلنا ان للعرب المسلمين اثاراً فيها فهما شاهدا عدل على ما تركوه في هذه البلاد من الايادي البيضاء شانهم في كل البلاد التي افتتحوها فانهم كانوا فيها مثال العدالة والشهامة وبلغنا ان عددهم يفوق الالفين وهم لم يزالوا محافظين على لغتهم العربية مع اتقانهم الاسبانية

اما سكان هذه المدينة فلا يزيدون عن العشرين الفاً على سعة اراضيها وكونها صالحة للاستثمار ولان تكون آهلة بمئات الالوف وجزر كناريا عديدة سكانها معاً ٢٧٠ الفاً وعاصمتها سانتا كروز Santa - Crux وبعدها لاس بلماس وتناريف وكلها واقعة في المحيط الاتلانتيكي

بعد وصولنا رأينا زورقاً ملاناً بالفاكهة اتياً الينا فاستبشرنا به خيراً ولكن لم يكد يقترب من الباخرة حتى صدر اليه امر الربان بالرجوع حالاً فسألنا عن السبب فقيل لنا لان السفن الاتية من البرازيل تكون دائماً تحت الحجر الصحي ذلك لوجود الحمى الصفراء في تلك البلاد فرضخنا صاغرين ولكن ما لبثنا ان رأينا زورقاً اخر يقطره زورق بخاري قادماً الى السفينة وفي وصوله نزل البحارة واخذوا ينقلون ما فيه الى السفينة فكنا نرى الموز والعنب والسمك والكوسا والبصل والملفوف والخيار والتفاح ... الخ (وسقة كبيرة) ونحن ممتعضون من هذه المعاملة التي لا تنطبق على المبادي الصحيحة فسألت احد الركاب الفرنساويين كيف يحل لهم ان يخترقوا الحجر الصحي باخذهم من الزورق كل هذه الاشياء ويحرم على الركاب مشتري شيء منها ليبلوا به ظمأهم

كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمولُ

قال لا ادري فقلت لا شك ان السفن الفرنساوية تؤاخذ ربابنتها كثيرًا على منع الركاب من مشترى شيء وانا مع معرفتي اللغة الفرنساوية وميلي اليكم فلا اري بدًا من تخطئتهم قال نعم وانا كذلك ولو كنت فرنساويًا وقالت ابنته وانا لا ارغب السفر مع الفرنساويين لانهم يعاملون الركاب بكل خشونة قلت ان ما تشاهدينه من بعض البحارة ان هو الا ضرب من الاستبداد واراه يعود عليهم بالخسارة فضلاً عن كونه يجعل نقطة سوداء في صحيفة لطف الفرنساويين المشهود بفضل هولاء الاجلاف ...

نضع هنا اسماء اكثر المدن البحرية التي تعرج عليها السفن من جنوا الى البرازيل وبونس ايرس والمسافة بين كل مدينة واخرى نقلاً عن لائحة الباخرة الفرنساوية ليزاندس اتمامًا للفائدة

		ميل بحري
Gênes	من جنوا الى مرسيليا	٣٠٣
Marseille	« مرسيليا الى برسلونا	١١٤
Barcelone	« برسلونا « فالانس	١٦٧
Valence	« فالانس « مالقة	٣٣٦
Malaga	« مالقة « جبل طارق	٦٤
Jibraltar	« جبل طارق الى مدر	٦١٨
Madère	« مدر الى دكر	١٠٩٩
Dakar	« دكر « ريو جانيرو	٢٧٦١
Rio - Janeiro	« ريو جانيرو الى سانتوس	٢١٢
Santos	« سانتوس « مونتفيديو	٨٨٧

		ميل بحري
Montevideo	من مونتفيديو الى بونس ايرس	١٢٠
Buenos-Ayres	،	
	من دكر الى لاس بلماس	٨٣٦
Las - Palnos	، لاس بلماس الى مرسيليا	١٣٩٠

دخلنا صباح الاحد ٢٧ اب في بوغاز جبل طارق وشاهدنا منه الصخرة الكبيرة التي استراح عندها طارق بن زياد القائد البربري المذكور انفاً بعد ان قطع البوغاز عرضاً من اضيق محل فيه كما ذكرنا فبعد ان قطعنا هذا البوغاز طولاً انتعشت نفوسنا وقرت عيوننا

فودعنا المحيط الاتلانتيكي المذكور وداعاً كان لنا اشهى من لقاء الاحباب ودخلنا البحر المتوسط ويسمى ايضاً بحر الروم والبحر الابيض وكان يدعى قبلاً البحر الشامي وهناك اشعرنا بنسيم بليل ورأينا البحر كالبركة لا حراك فيه فقلنا حياك الله يا بحر الشام يا مهد الرغد والسلام فلأنت احبُّ الينا من كل بحر وامصارك اشهى الى قلوبنا من كل مصر لا يستفزك الغضب دائماً ولا تؤثر فيك التغيرات الجوية في كل آن فالامور مرهونة عندك لاوقاتها ولكي يقف القارىء على حالة المدو في المحيط الغربي (الاتلانتيكي) وحالته في بحر الروم نقول له ان السفينة كانت تقطع في المحيط يومياً نحو ٢٦٠ ميلاً وفي البحر نحو ٢٨٥ ميلاً

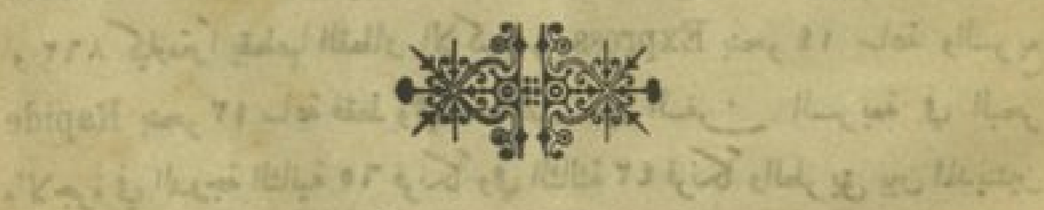
وبعد ان غادرنا صخرة طارق اصبحنا نشاهد سلسلة جبال طويلة عن يسارنا تنكشف لنا قممها الواحدة بعد الاخرى الى ان وصلنا امام راس القديس مرتينوس Cap. St. Martin وهذا الراس يبعد عن مرسيليا ٣٦٠ ميلاً وفي اعلاه منارة بديعة وبجانبها قضيب المغنطيس كأن هذه الجبال اكام لبنان من صيدا الى طرابلس والمزارع في سفحها قرى لبنان الساحلية كالشويفات والحدث والبرج والشياح وبعد الراس المذكور انجلت لنا جزيرة جافيو الاسبانية Javeau في سفح جبل اخر وبجانبها جبل عالٍ اشبه قمة جبل الطور والجزيرة بين الاشجار الفضة وهي عبارة

عن حديقة خضراء بكثرة اشجارها وقدرنا ان عدد ساكنيها لا يقل عن الثلاثين الفاً وتنتهي في الجهة الغربية الى راس القديس انطونيوس Cap St. Antoine ولم تغب عن ابصارنا هذه الجبال والدساكر حتى ظهر لنا عن اليمين سلسلة جبال اخرى فيها جزر عديدة وتسمى جزر باليار يس Baléares سكانها معاً ٢٨٥ الفاً وعاصمتها بالما Palma التي يسكنها نحو ٤٠ الفاً من الناس واهم جزرها بعد العاصمة هي ماجوركا Majorque سكانها ١٨٠ الفاً وايفيسا Iviça وعدد سكانها ٢٥ الفاً

صباح الثلثا في ٢٩ اب اقبلت بنا السفينة على سلسلة جبال اخرى زاهرة بالمغروسات الكثيرة كالكرمة والزيتون وغيرها فابتهجنا بمناظرها البديعة ورأينا على احد هذه الجبال منارة عالية وهذا المكان يسمى راس القديس سباستيان Cap. St. Sebastien وهو بداية المملكة الفرنساوية وهكذا ظللنا نودع سلسلة ونستقبل اخرى وكلها ملآنة بالمزارع العديدة فترى البيوت منتشرة فيها انتشار الكواكب في القبة الزرقاء الى ان ظهر لنا بين جبلين عظيمين خليج الاسد Golfe du lion فودعنا الجبال ومزارعها وصرنا ننتظر الوصول الى مدينة مرسيليا في مساء اليوم وقد قال لي احد الركاب الفرنساويين هذا هو اليوم العظيم C'est le grand jour

فقلت

يوم الوصول عظيمٌ	كأنه يوم عيدِ
عيد الخلاص ولكن	من هول بحرٍ شديدِ



مرسيليا Marseille

نحو الساعة الرابعة انكشفت لنا جبال مرسيليا على بعد ٣٠ ميلاً وعند الساعة الخامسة ظهرت لنا المنارة امام الجزيرتين اللتين تتقدمان مدينة مرسيليا الى الجهة الغربية واحدى هاتين الجزيرتين تسمى شاتوديف Chateau d'if وفيها السجن القديم العهد الذي سُجن فيه الكونت ديمونتو كريستو سنة ١٨١٥ والجزيرة الثانية تسمى فريول Friole اما المنارة فهي عروس المدينة تتجلى امامها بقوامها الفتان ناصعة البياض كأنها من حواري الجنان وهي عبارة عن جزيرة في منتصف البحر تبعد عن المدينة نحو ساعة ولما وصلنا امامها وكانت الساعة فوق السادسة رأيناها تختال في دورانها بانوارها السنية وتمحو اية الليل بصبح طلعتها الذهبية تراسلنا بشعاع من طرفها الساحر يهزأ بالكواكب الدرية فهي تهدي المسافر الى سواء السبيل وتضله عن الحقيقة فلا يفرق بين الصبح والعشية

واشرفنا من ثم على المدينة فاذا هي محاطة بالصخور الشامخة ولدى اقترابنا منها دُهشنا لكثرة الانوار الكهربائية التي تتلألأ في نحرها على شكل نصف دائرة فكأنها صدر قد رصع بالكواكب بدل الماس ومصابيحها العديدة الالوان كأنها الياقوت والزمرد تزيد في بهائها قبساً على اقباس وكنا قبل وصولنا اليها اشبعنا الربابنة وبعض عارفيها من الشرح عنها فعند وصولنا قلنا لقد صدق الخُبر الخبير فهذه مرسيليا ام المدن البحرية في البحر المتوسط وشقيقة الدرة الفريدة باريس Paris عاصمة المملكة الفرنساوية ام المدن الراقية والمسافة بينهما ٢٥٠ فرسخاً او ٨٦٢ كيلومترًا يقطعها القطار الاكسبرس Express بنحو ١٤ ساعة والسريع Rapide بنحو ١٢ ساعة فقط وهي مضاعف سير السفن السريعة في البحر والاجرة في الدرجة الثانية ٦٥ فرنكاً وفي الثالثة ٤٢ فرنكاً والطريق بين المدينتين مغروسة على جانبي الخط زهورًا عطرة واشجارًا يانعة حتى يخال الانسان نفسه انه سائر في رياض الجنان وهي تحسب من اجمل طرقات المعمور

اما تاريخ هذه المدينة فيبتدي من سنة ٥٩٠ ق م اذ جاءها بعض الفينيقيين وعمروها وسكنوها وسموها «ماسيلا» وبعده اطلق عليها مرسيليا وقد دعيت مدينة الفينيقيين الى اليوم لانهم هم الذين اسسوها

صباح الاربعاء في ٣٠ اب دخلت بنا الباخرة الى اول المرفا فراينا القلاع العديدة وبعدها المحجر الصحي عن اليسار وعاينا عن اليمين كنيسة سيدة النجاة Notre dame de la garde على راس جبل عال تعلو المدينة علوًا بالغًا حتى ان الداخل الى المدينة يرى التمثال القائم في اعلى قبة الكنيسة المذكورة قبل كل شيء وبعض الشركات البحرية تخصص لها شيئًا من ارباحها كل سنة ويدعونها ام العجائب ولهم في نجاة سفن كثيرة من الغرق بواسطتها روايات عديدة

وهكذا الى ان دخلنا المرفأ بل المرافئ العديدة والمساكن كما اقتربنا منها تزداد في عيوننا عظمة وفخامة وكلها ايات هندسية تحيطها الفياض الاريضة ورأينا المعامل يتصاعد دخانها حتى يكاد يحجب غزالة السماء عن العيون

والداخل الى مرسيليا ينشرح صدره للساحات الكبيرة التي تشغلها مرافئها العديدة فالاول وهو القريب من المحجر الصحي حيث رست سفينتنا ليلاً والثاني بعده وهما طبيعيان تحميها الصخور الشامخة من سطوة الامواج عن الجانبين والثالث يرى المرء فيه صورة الحضارة والابهة وهو صناعي تحميه الحجارة الكبيرة على مثال مرفا بيروت الا انه اطول منه كثيرًا ويكاد لا يلحق الطرف له اخرًا اما الابخرة المتكاثفة من السفن والمداخن فتري الداخل انه امام معركة قد حمي وطيسها وتطاير غبارها الى عنان السماء ولا غرو فان مرسيليا قد اشتهرت ميناؤها بانها من اهم موانئ العالم التجارية فهي ياقوتة نحر البحر المتوسط او كما يسميها الفرنساويون «مفتاح الدنيا» فماذا يصف المرء عن الاحواض الكبيرة او السفن التي تعد بالمئات او القناطير المقنطرة من الفحم الحجري او الالات البديعة لرفع الاثقال او المنائر الكهربائية السنية او الحدائق الغناء او المنازل الشاهقة او المعامل العديدة فانها كلها جميلة شائقة تبهج العيون وتسر القلوب ولما اقتربنا من منتصف المرفا نظرنا جسرًا هائلاً من الحديد يعترض مرورنا ولكن لم نلبث ان شاهدنا ذلك

الجسر العظيم انفتل بسهولة كلية يكاد يظنها الرائي اعجوبة وتحول عن العرض الى الطول فكانه تمثل بقول الشاعر

انا كالخيرور صعبٌ كسرهُ

وهو لدن كيفما شئت انفتل

فمررنا واذا به يعلو سفينتنا ويكاد يزيدها طولاً وشد ما كانت دهشتنا لكثرة البواخر الكبيرة وتكردسها كانها البضائع في المخازن الكبيرة قائمة بجانب بعضها البعض وكثير منها يماثل صنين في لبنان عظمة وارتفاعاً وقد مررنا باحداها فرفعنا الراس طويلاً حتى شاهدنا بحارتها واقتربنا بعدئذٍ من سفينة بخارية كبيرة تسمى بروفانس Provence من شركة سفينتنا نفسها كانت قد سافرت بعدنا بثمانية ايام من ريو دي جانيرو فوصلت قبلنا بيوم واحد ولله در الفرنسيس فانهم ابدعوا واي ابداع في كل ما شاهدته عيوننا من الصنائع والفنون الجميلة لا سيما في جمع مياه الامطار تحت المدينة واستخدامها بطرق سهلة قريبة المأخذ حتى ان بعض علماء الجيولوجيا (علم طبقات الارض) من الاميركيين اتوا الى هذه المدينة لدرس المسالة درساً دقيقاً والجري على منوالها وقد عم استعمالها في بونس ايرس وغيرهـا

كسوف الشمس

في هذا النهار ايضاً تمت اقوال الفلكيين فكسفت الشمس نحو الساعة الواحدة بعد الظهر واضحت شاحبة اللون تنحط عن البدر سنىً كانها تشكو ظل الارض الذي افقدها معظم النور والحرارة

والشمس في كبد السماء مريضة

والارض واجفة تكاد تمورُ

الا ان هذا الكسوف لا يفقدها منزلتها العليا وفضلها العظيم على كل الاحياء

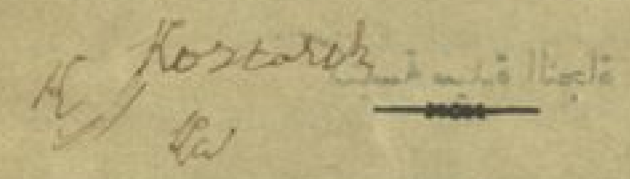
فالشمس في برجها شمس ولو كسفت
فلا يحط علاها كسف اقوارِ

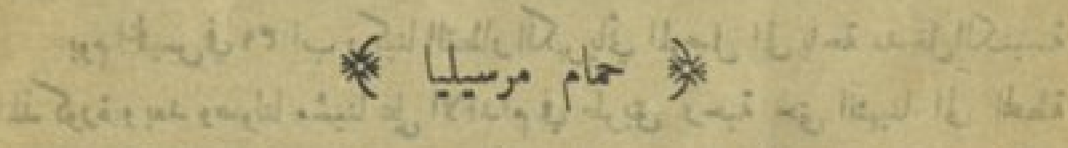
وكنا نرى الناس زرافات بثالبوث وفي يد كل منهم قطعة زجاج مسودة ينظرون بها الى الشمس وكان قد سبق وفد من العلماء الفلكيين الى اصوان في القطر المصري حيث كان الكسوف كاملاً لمراقبتها وتفصيل حالة الكسوف تماماً وقد دق الاولاد على الاوعية النحاسية في مصر وطافوا المدينة حسب الاصطلاح في كل خسوف وكسوف في سورية ومصر فندّدت بهم بعض الصحف المحلية وقالت اننا اصبحنا امام العالم المتمدن والوفد الفلكي بين كسوفين كسوف الشمس وكسوف وجوهنا من الخجل ولعمري ان هذا العمل يبعد عن المدنية بمقدار اقترابه من الهمجية

كنيسة سيدة النجاة

يوم الخميس في ٣١ اب ركبنا القطار الكهربائي الموصل الى باحة مدخل الكنيسة المذكورة و بعد وصولنا مشينا على الاقدام في طريق رحبة حتى انتهينا الى المحطة التي يصعد بها الى الجسر الحجري الكبير الواقع شرقي الكنيسة فاخذنا تذاكر السفر صعوداً ودخلنا القطار وبعد ان قرع الجرس اعلاناً للسير وتحركت الالة الرافعة Ascenseur اخذ يتسلق بنا صعداً على الخطوط الحديدية المسننة كالقطار السائر على الارض لا فرق بينهما وكان قطار اخر يكر بغيرنا نزولا فغثت نفوس ووجبت قلوب وشحبت وجوه وكثيرون قالوا فعل الندامة .... وبعد وصولنا مشينا على الجسر الحجري الموصل الى سلم الكنيسة فدخلناها فالفيناها معهداً ادبياً فخيم البناء يشعر الانسان فيه بورع واحترام اما عن دقة البناء والتفنن الغريب فيه فحدث ولا حرج فسقفها محلى بالذهب وفي صدر الهيكل تمثال السيدة العذراء (عم) من الفضة تعلوه قبة بديعة محلاة بالذهب والاعمدة بعضها من الرخام وبعضها من المرمر والارض مرصوفة بالبلاط الملون رصفاً جميلاً وفي جدران الكنيسة تقادم

شكر من بلدان واناس كثيرين كانوا في ضيق في البحر وكادوا يغرقون ونذروا للسيدة ووفوا نذورهم فمن هذه التقادم التحف النفيسة والاواني والحلى الذهبية والفضية والاوسمة وغيرها الخ ... اما التمثال الخارجي الذي يعلو القبة الكبيرة فهو في مكان شاهق حتى اننا بعد صعودنا في القطار الكهربائي ومشينا على الاقدام وفي القطار الصاعد وعلى الجسر الحجري وسلم الكنيسة كنا ننظر اليه نظر الاندهاش فنراه اعلى من ان يحيط به نظرنا وهو محلى بالذهب الوهاج تنعكس عليه اشعة الشمس فيبدو للرائي بريق يذهب بالابصار وفي رجوعنا اطللنا فاذا مدينة مرسيليا تحتنا كانها في وادٍ بعيد الغور ومساكنها كانها قطع (الزهر في طاولة اللعب) تخلنا ذواتنا في منطاد .. وهذه الكنيسة وما يليها من الدير والابنية كلها قائمة على راس جبل صغير الا انه عالٍ وراهبات الدير المذكور يلبسن الثياب البيضاء فعدنا ونحن نلهج بفخامة هذا المكان وسمو شانه





✻ حمام مرسيليا ✻

قبل الغروب ذهبنا الى شارع ريبوبليك نمرة ١٣ فدخلنا هناك حماماً (على النسق الروماني والتركي والروسي) وعلى بابه الخارجي مكتوب Hammam وعلى بابه الكبير الداخلي قد كتب بالحبر الاحمر في اللغة العربية الحمام نعيم الدنيا وقد سررنا بطريقته واثنينا على همة القائمين به واعدادهم كل وسائل الراحة واسباب السرور فضلاً عن توفر الفائدة الصحية للمستحمين

وزرنا في نفس الشارع وطنينا الخواجه جبرائيل ساموري فشاهدنا من غيرته ومزيد عنايته بالسور بين ما جعلنا ان نثني عليه ثناء طيباً وهو يبيع الاقمشة والخرضوات و يشتغل بالكومسيون (العمولة) في جميع الاصناف

وذهبنا الى محلة المواسم فوار Foire التي تقام في ايلول وتشرين من اول كل

عام فاذا هي اسواق عظيمة تنار بالكهربائية غاية في الترتيب والذوق اللطيف تستلفت النظر وتبقي في افئدة زائريها خير اثر ففيها عدا ما ذكرنا من الملاعب والمراسح وبرك الماء والخضرة وفي اسواقها من البضائع على اختلافها ما يقصر عن وصفه اللسان

حديقة الحيوانات

Jardin Zoologique

يوم الاحد في ٣ ايلول ذهبنا الى شارع لونشان Longchamp لزيارة الحديقة الشهيرة المعروفة بحديقة الحيوانات فرأينا على بابها الخارجي الكبير تماثيل اسدين كبيرين ونمرين هائلين وفي صدر المدخل حوض ماء وفوقه حوض آخر تتدفق المياه منه بغزارة وعلى حافته تماثيل اربعة ثيران كبيرة كأنها تهم بالنهوض وفوقها تماثيل اخرى قامت رموزاً كالحرف جاء لمعنى .. وقد ذكرنا اندفاق المـاء منتزه « ظبية » في لبنان

جيء بالماء الى هذا المكان في عهد لويس فيليب بسعي المجلس البلدي الذي وضع رئيسه حجر قناتها الاول في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٨٣٩ فوصلت اليها (الى مرسيليا) المياه في ٨ تموز سنة ١٨٤٧ من نهر ديرانس Durance (هذا النهر يخرج من جبال الالب ويصب في نهر الرون Rhône طول مجراه ٣٣٠ كيلو متراً)

وفوق هذه التماثيل رواق طويل مقسوم الى قسمين احدهما عن يمين الداخل وفيه متحف التاريخ الطبيعي Musée d'histoire naturelle والثاني عن يساره وفيه متحف الفنون الجميلة Musée de beaux arts وهذان المتحفان اقيما في عهد نابوليون الثالث في ٧ نيسان سنة ١٨٦٢ ويطلق عليهما معاً

اسم قصر لونشان اما الاول ففيه من الحيوانات المحنطة اجناساً كثيرة ومختلفة كالنسر والفيل والزرافة والاسد ووحيد القرن والتمساح والقرد والنمر والثعلب والتنين (رسم) وهو عظيم هائل يشبه التنين الذي يرسم تحت صورة القديس جاورجيوس (م) واسم هذا الحيوان ايكانودون Iguanodon وفهمنا ان رسمه هذا ماخوذ عن جسمه قبل انحلاله وفنائه وهكذا هذا المتحف الجميل حوى اكثر اجناس الحيوانات من كبيرها الى صغيرها فقد لا يفلت جنس منها ليس له فيه مثال كالطيور على اختلافها والزحافات بانواعها والوحوش واسماك البحر على كثرتها مما يشهد لجامعيها بالفضل العظيم ..

ولهذه الحيوانات كلها (الا الكبيرة فيها) بيوت زجاجية في غرف مرتبة ترتيباً حسناً لا يسع الداخل اليها الا ان يعجب ويحار عقله من كثرتها واختلاف اجناسها واتقان تحنيطها حتى يحسبها الناظر حية تكاد تثب من مواقفها

واما الثاني فقد جمع فيه رسوم وتماثيل شائقة وعلى كل منها اسم الراسم او الناحت وفيها صور متقنة اتقاناً بالغاً فمنها تاريخية ومنها كنسية وكلها تحف بديعة وايات ناطقة بالثناء على صانعيها وجامعيها

تفتح ابواب هذين المتحفين لقبول الزائرين مجاناً من الساعة الثانية الى الخامسة بعد الظهر

ومن ثم يتدرج الداخل شرقاً الى البستان الداخلي الحاوي ما لم يحوه المتحفان المذكوران فان فيهما الاثر وفي هذا العين ... فيهما الحيوانات محنطة وفي هنا كلها حية تسعى . وقد اقام لها جامعوها مساكن توافق طباعها وعاداتها فهناك عرين الاسود وكناس الظباء ووجار الضبع ووكر الطائر وحجر النعام الخ ... الخ ....

وفي هذه الحديقة من الاشجار والازهار والمتنزهات ما يخلب الالباب ويحمل المرء على الاطراء والاعجاب

وكنا نرى العالم افواجاً افواجاً الوفاً بل عشرات الوف داخلة خارجة تموج كالبحر الزاخر في باحات هذه المتاحف والموسيقى العسكرية تشنف الاذان في يومي الاحد والخميس من كل اسبوع كما تصدح موسيقى دولتنا العلية العثمانية في يومي الجمعة والاحد في حديقة بيروت الحميدية ذلك ما يجعل هذه المتاحف تقع في نفوس

زائريها وقعاً حسناً يتجدد بتجدد الايام

وهذا البستان الجميل هو ملك المجلس البلدي في مرسيليا

حرّية المرأة في اوروبا

اما الحرية المعطاة للسيدات وانقياد الرجال لهنّ فهي تفوق الوصف وتكاد تكون نوعاً من العبادة فانظر حالة الانسان كيف تتغير بتغير الزمان هذه المرأة التي كانت في سالف الزمن احط قدراً وادنى شرفاً واقل ادراكاً وابعد عن مدارج الكمال من الرجل .. هذه نفسها التي كتب عنها احد العلماء الاقدمين بعنوان هل المرأة من الجنس البشري ؟ هي نفسها اصبحت اليوم بفضل العلم الصحيح مساوية للرجل في المقام وبفضل الحرية الاوروبية سيدة الرجل واكاد لولا القليل اقول الاهته ... لان كثيرين من قليلي الحشمة يبدلون المحبة بالعبادة (اجارنا الله من هذا الكفر الوخيم) وعندي ان حط منزلة المرأة وامتهانها والقسوة في معاملتها او رفعها الى درجة تفوق قدرها وتسويدها على الرجال عنوةً وانقيادهم لها صاغرين كل ذلك حرام ومدعاة الى الاسف والندم فضلاً عن كونه تهوراً ذميماً وخطاء لا يسامح

حب التناهي غلط خير الامور الوسط

وهنا اسرد حادثة عرضت لرجل اديب مع زوجته تفكهة للقراء فهي مثال الاستقامة وفيها المحبة الحقيقية متجسمة بابهى مظاهرها ومنها يفهم ان الزوجين متساويان في الكرامة وانهما مخلوقان على صورة الله فهما صنوان لا يمتاز احدهما عن الاخر الا في امور تختص بالرجل اكثر من المرأة

اصيب الزوجان المذكوران بسوء التفاهم وسوء التفاهم اصل التخاصم فتخاصما فحنقت المرأة واشتد غيظها على الرجل ولما لم تجد طريقة تروي بها غليلها منه (خوف ان يطلع

احد على ما بينهما) عمدت الى الكتابة فسلقته بالسنة حداد ... وندبت سوء حالها واقرأت زمنها الماضي (زمن العزوبة) السلام ووصفت نفسها فيه وصفاً بديعاً الى ان قالت كنت فيه زهرةً وغصناً وياقوتة الخ .. وهذا جوابه لها بالحرف الواحد

زوجتي العزيزة

اطلعت على ما خطه يراعك مساء امس وفهمت كلامك بتمامه ولم ارد ان اجيبك عليه فوراً لاني كنت متأثراً وكتابتي في حال التأثر منك اليك لا اريدها وليست هي موضوع الوئام

عجبت من حدتك الشديدة بلا مسوغ في حين اني اعهدك رحبة الصدر صبورة شديدة التاني ولكن هو الانفعال اضاع رشدك فاضعت معه وقتك الثمين بتحبير كتاب بل جريدة طويلة عريضة .. هي من باب لزوم ما لا يلزم ... وقد جئتك بهذه الاسطر مظهراً لك عدم صوابية حدتك فاقول مختصراً

قلت قلبك القاسي لا عاش القلب القاسي . فانا اشفق على قلبك من هذا الكلام بل السهام الحادة لان قلبي كما تعلمين هو بضعة من قلبك فاخشى ان يصيبه هذا السهم الطائش ...

ولي معك كلام اخر وهو اني رأيتك تقرأين السلام على عصركِ الماضي (عصر العزوبة) وهذا خطاء لم تنتبهي اليه والا لما كنت فعلت ... اعني لو فهمت ان كلامك نفسه لا يبرئك من تخطئة لكنتِ اغفلته لا محالة .. لان عصرك الماضي لم يتجلبب بلباس عصرك الحالي .. نعم كنت مرتاحة ومحبوبة و .. و .. الخ والان فمع كونك مرتاحة وعزيزة فانت سيدة ... سيدة ... مدام .. هذه الكلمة وحدها تكفيك لان تذكري الماضي ذكراً بسيطاً من التلهف عليه والحنين اليه ...

كنت غصناً ولكن بلا ثمر ... كنت زهرة ولكن بلا اريج ... كنت ياقوتة ولكن بيضاء ... والان فانت غصن مثمر وزهرة عطرة ... وياقوتة حمراء ...

المرأة كما تعلمين زهرة تنعش فواد رجلها وريحانة روحه وانسان اخر للانسان الاول يعينه في السراء والضراء ويشاطره افراح واتراح هذه الحياة والرجل سند

المرأة وحصنها وملاذها وقائدها وابوها وشريكها وامينها فهو معها انسان كامل وكل منها نصف الاخر بدليل قول الكتاب المقدس وخلق الله الانسان على صورته ذكرًا وانثى

احاشيك يا عزيزتي ان تكوني كالنساء اللواتي يتغلب على عواطفهن حب التسلط والمجد الفارغ فيطأن بارجلهن الواجبات الزوجية و ينبذن الدين والاداب ظهريًا ... اناشدك باسم الانسانية التي نحن من بنيها و باسم المحبة المسيحية التي نستظل في فيافيها ان تقصي عن فؤادك كل حقد وتدعي الحدة جانبًا وليكن بيننا السلام الذي يجعل عيشنا هنيئًا والمحبة التي اذا غرست في القلب فتنبت اعمال الفضيلة والصلاح . اه ...

ولنعد الى حديثنا الاول فنقول ان الاوروبيين باعطائهم الحرية للنساء ومنحهن التسلط عليهم قد فتحوا لهن ابواب الرذيلة وجعلوهن يقتربن من فوهة جهنم .. فسقطن وسقطوا معهن ...

وبكل اسف نقول ان بنات ابليس كثيرات منتشرات في كل الاحياء انتشار الذباب يستهوين بجمالهن وتبرجهن السابلة من الناس وعلمنا انهن يدعون في الشوارع كل غريب الى المنزل العامر ...

فحذار يا ابناء الوطن .. حذار من الوقوع في حبائلهن فان كثيرين من الشبان الالى استغوتهم المومسات قد فقدوا شرفهم وصحتهم ودراهمهم ووقعوا ولكن حيث لا مناص

اقصر لحاظك لا تطاول فستان طرف الغيد ذابل
لحظاتهن سيوفهن وطرفهن هو المقاتل
وحديثهن حبائل الله من تلك الحبائل
فدع اعوجاجك واستقم يا وانتبه ان كنت غافل
وانه الفؤاد عن الهوى ان الهوى وابيك قاتل

وما نقوله الان للشبان نعيده على بعض الكهول فقد قرات مقالة في احد جرائد البرازيل العربية بعنوان « توديعة » مفادها ان احد السوريين الكهول العائدين الى الوطن قبل ان يغادر البرازيل اراد ان يعرج على احد الشوارع

المقاومة ... متناسياً قول من قال

ذا ارعواء فليس بعد اشتعال م

الراس شيباً الى الصبا من سبيل

وهناك دخل بيت احدى المومسات قياماً بواجب الوداع فبعد ان اسكرته بحديثها الفتان وما تعاطته واياه من بنت الحان سلبته اثناء النوم دراهمه التي كان ينوي الرجوع بها الى الاوطان ونبذته نبذ النواة بعيداً عن البيت فلما افاق ورفع امره الى المحكمة ادعت انها لا تعرفه وعادت وهي تنشده بلسان حالها قول المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي العلامة الشهير

شيخ اشد جنوناً	من دقة بن عبابه
قد خاتلته فتاةٌ	واستجهلته صبابـه
فجي شيخـك عني	وقل متى جئت بابه
ميعادنا يوم حشرٍ	اذا استجد شبابه

وحدث اثناء وجودنا في مرسيليا ان احد الشبان السوريين كان عائداً برفقتنا الى الوطن ففافلنا ليلاً وذهب الى احد بيوت الرذيلة وكان قد زاره اكثر من مرة الا انه ضل عن الطريق وطرق باباً اخر فلم يجبه احد فكرر طرق الباب فافاق رب البيت مذعوراً واستفهم بصوت جهوري عن الطارق ليلاً فعلم صاحبنا انه ضل وغوى وعوضاً من ان يبقى ليعتذر عن خطائه لصاحب البيت انسل بخفة السارق الى بيت صديقته المومسة فلما جاء ذاك ولم يجد احداً اطل من النافذة فرآه فاقتفى اثره خفية ونبه الشوطي الى مكان وجوده و بعد ان القي القبض عليه وأخذت منه المدية التي كان يحملها في جيبه سيق الى السجن (قراقول) مخفوراً وادخل الى غرفة مظلمة لا مكان للجلوس فيها فقام تلك الليلة منتصباً على قدميه تكفيراً عن ذنبه وقاسى ليلة شديدة انسته طعم العسل...

وفي الصباح نقل على عربة مقفلة لانافذة فيها الى السجن العمومي ولما علمت بالامر اسرعت مع بعض الاصدقاء واستأذنت من محافظ السجن ان يسمح لنا بمشاهدته فرفض قائلاً لا يجوز ان تقابلوا احداً قبل افتتاح الجلسة فرجوته بان يستأذن لي بنقل كلام صديقنا السجين الى الرئيس باللغة الافرنسية فوعدني وعند

حضور اللجنة قدمني رفيقه الى الرئيس فسألني عن امره مطولاً فبذلت الجهد لابعاد المسئولية عنه و بعد ان تقرر لدى الرئيس براءة ساحته قال لي انه يخلي سبيله ولكن تحت الطلب Provisoirement فخرجنا والصديق المذكور ينفض غبار الموت عن اكتافه وسافر في اليوم التالي بلا معارض ...

و يوم الثلثا في ٥ ايلول داس القطار الكهربائي احد السوريين المهاجرين الى اميركا ففاضت روحه في الحال وفي ذات النهار داس القطار الغازي (اوتومو بيل) سورياً اخر فنقل الى المستشفى وقضى الطبيب بقطع احدى رجليه الا ان حالته لا تنذر بالخطر والاول من قضاء عكار والثاني من لبنان

اما حالة السوري في مرسيليا بين السماسرة المعلومين .. اذا لم يكن حاذقاً فهي حالة استعباد واضطهاد وقد رأينا في جريدة مرسيليا العربية رسم رجل سوري من لبنان حاملاً امتعته في كيس على ظهره وايدي السماسرة تجتذبه من كل جانب وهو منظر يضحك الثكلى ولا سيما رسم اخت عزرائيل (مريم الاسبانيولية) وقد رفضنا طلبهم بالنزول عند احدهم ونزلنا في نزل Grand bar du port. quai du port 36 تخلصاً منهم وابتعاداً عن معاملاتهم

واليونان الارثوذكس في مرسيليا جالية تقارب الالف عداً واكثرهم اغنياء ومنهم ذوو ثروة كبيرة وكنيستهم في شارع كران دارمه Grande armée جميلة ومتقنة الا ان الترتيل فيها لا يجري على الموسيقى البزنطية بل على موسيقى ذات اربعة اصوات

اما شوارع مرسيليا فشارع كانوبيار Canebière فيها ابهى جمالاً واوسع مجالاً واتقن بناء منها كلها و يليه شارع الريبو بليك République وعدد ساكنيها يقارب ال ٥٠٠ الف نفس الا ان الغرباء فيها كثيرون و يعدون بعشرات الالوف ومن مينائها يسافر كل يوم نيف وخمسون باخرة

زرنا الكنيسة الكاتدرائية فيها فدخلناها بعد دفع الرسم (هذا الرسم يدفع في غير اوقات الصلوات) فرأينا انها معبد شائق الا انها عطل من الزينات والتحف الكنيسة المهمة وقد شاقتنا قبابها الخارجية كثيراً فهي في الخارج اجمل منها في

الداخل الا انها كبيرة وقال عنها احد رفقائنا انها تشبه كنيسة الروم الارثوذكس الكاتدرائية (المريمية) في الشام بكبرها

قبل ان نغادر مرسيليا قرأنا رسالة برقية في احدى الجرائد الفرنساوية مفادها ان البركان فيزوف قد ثار ثوراناً عظيماً وبعد وصولنا الى سورية قرانا كذلك انه يزداد في ثورانه وقى الله العباد شره

في السفر من مرسيليا

يوم الخميس في ٧ ايلول ركبنا الباخرة بورتيغال من شركة مساجري مريتم الفرنساوية ونحو الساعة السادسة رفعت مرساتها وسارت قاصدة اسكندرية والمسافة بين المدينتين ١٤٠٤ اميال وشاهدنا في الباخرة كثيرين من السور بين العائدين الى الوطن رجالاً ونساء بينهم امرأة عجوز لها من العمر ٨٥ سنة (على قولها) اسمها ماريا العلم من كفرفو بقرب الكورة في لبنان هذه قضت ١٥ عاماً في جهات المكسيك وكانت تنوي ان تبقى هناك (شي عشر سنين بعد) الا ان عادة حرق عظام الموتى في تلك البلاد جعلتها تعجل بالرجوع الى وطنها خوف ان تداهمها المنية فتذهب عظامها طعام النار فعادت وفي قلبها غصة ... وهي تقول الرجوع الى الدار ولا النار

اثار المهاجرين

طفنا في باحات الباخرة فاستدللنا على ركوب كثيرين من السور بين فيها

من الاثار ... المحفورة على الواح الباخرة ومداخنها وسواريها فقد لا تجد فيها مكاناً خالياً من اثر نفيس وضعته يد السوري المهاجر ولو سألنا احدهم ما الفائدة من كتابة اسم الجناب حفراً على خشب الباخرة ؟ لما كان له ما يعتذر به سوى انه قرأ اسم سوري اخر محفوراً على ظهر الباخرة فتشبه به ظاناً ان في الامر لفوزاً مجيداً وهو يقول :

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم
ان التشبه بالكرام فلاحُ

وبئس هذا التشبه وهذا الفلاح ولقد قبح اصحاب الذوق السليم هذه العادة الذميمة تقبيحاً والربابنة يشكون من هذه الاثار التي تدل على الوقاحة وكنا نخجل وايم الحق عندما نرى الاسم يستغرق نحو نصف اللوح محفوراً حفراً بالغاً (الزنود عامرة والسكين اميركانية) خوفاً عليه من الامحاء فاصبح اثراً لا يزول كالوشم في الجسم خالط اللحم والدم

ان اثارنا تدل علينا   فانظروا بعدنا الى الاثار

وردة زوجة دعيبس

مما يجمل ذكره ويضحك نشره ان امرأة تدعى وردة زوجة دعيبس من جهات بشري في لبنان نمي اليها ان زوجها هدم ركن الوفاء ووطئ الشرف باخمصيه فحل رباط الزواج المقدس كما شاء واتخذ له زوجة مدنية (الزواج المدني هو ارتباط العروسين في المحكمة امام الشهود ويختم بوضع امضاء كل منهما في سجل الحكومة) حسب (الموضة) الدارجة بين المهاجرين وحدهم بلا نساء فثار ثائرها ودفعتها الغيرة الى السفر واللحاق به وفي وصولها رفعت دعواها الى المحكمة فلم يصادف نداوها اذاناً صاغية فعادت بخفي حنين .. وعندما كانت تسرد هذه القصة على مسمع

كثيرين كان احد الشبان الذين يتعاطون حرفة السمسرة في مرسيليا وهو ي ٠ ح ٠ واقفاً امامها (يبورم بشورابه) فقال لها هل عندكم رزق فقالت نعم عندنا رزق يساوي نيفاً وثلاثة الاف ليرة (فقال المذكور في نفسه اجت وجابها الله) فالتفت اليها ماداً يمينه وقائلاً بالحرف

(حطي ايدك هون وخلينا لبعضنا من هلق ورايح)

فتمايلت المذكورة تيهاً ودلالاً وقالت (لا ياخواجه في تنين ثلاثه بالضيعه ناطرين ٠ اهـ ٠٠)

مضيق مسينا Détroit de Messine

نحو الساعة الثانية من يوم السبت في ٩ ايلول اقبلنا على مضيق مسينا وهو عبارة عن سلسلة جبال طويلة عن اليمين وعن اليسار اما التي عن اليمين فهي جزيرة سيسليا Sicile وهي اعظم الجزر كلها في البحر المتوسط يسكنها مليونان وثلثماية الف نفس وعاصمتها بالرما Palerme التي يزيد عدد اهليها عن ٢٠ الف نفس ومرفأها جميل جداً وامين للسفن على اختلافها

اما التي عن اليسار وهي جبال كالابريا Calabre التي عاصمتها ريجيو وقد ذكرناها صفحة ١٥ وريجيو اسم لمدينتين ايطاليتين احداهما بالقرب من مودينا Modène ففيها نحو ٢٠ الفاً من السكان والاخرى واقعة في كالابريا على مضيق مسينا وجبال كالابريا تفوق كل الجبال التي رايناها علواً ومدنها جميلة ذات تربة مخصبة وهي التي حلت بها النكبات العظيمة في اواخر ايلول من هذه السنة فزلزلت الارض زلزالها فيها فتهدمت المساكن وازداد البلاء فبعد ان كانت جنة غناء اصبحت اكداساً من التراب وتلالاً من الانقاض وغدا الوف من الخلق بلا مأوى ولا طعام وجاء جلالة ملك ايطاليا ليخفف ويلات المنكوبين فهزت الاريحية

كثيرين من اولي السخاء فتبرعوا بما يجبر القلوب الكسيرة وشاركهم بهذا العمل الخيري كثيرون من السوريين عوض الله على المنكوبين وجزى المحسنين خيراً

والناظر الى هذه الجبال يظن ان الباخرة اذا تابعت مسيرها مستقيماً فانها تنطح الجبل لا محالة لان المضيق لا يظهر الا بعد الاقتراب من المنارة البديعة القائمة عن اليمين الى الجنوب الغربي وهذا المضيق (مضيق مسينا) هو المعروف عند العامة ببوغاز ايطاليا والسفن تحسب له حساباً كبيراً ولا سيما في الشتاء وكثيراً منها اصابه من سهام امواجه نبالاً قتالة

اما عرضه فهو بضعة اميال وسكون البحر فيه نادر والنادر لا يقاس عليه ٠٠ وقد شاهدنا احدى البواخر التي خانها الحظ فجنحت امام سيسيليا ولعل هذه الباخرة هي « شرقية » من شركة البواخر الخديوية التي جنحت في العام الغابر

جزيرة كريت

يوم الثلثا في ١١ ايلول عند الساعة الثالثة قبل الفجر ظهرت لنا عن اليسار جبال كريت وهي سلسلة جبال طويلة ظلت الباخرة تسير امامها الى الساعة التاسعة وحبذا لو كنا قريبين منها لنصفها وصفاً دقيقاً فنتكلم عن احراجها ومغروساتها واثمارها الكثيرة ولا سيما الكرمة والتين وغيرهما

دار التحف في اسكندرية

بعد رجوعنا الى اسكندرية زرنا تحفها (رسم الدخول اليه غرشان صحيحان)

فشاهدنا فيه من الاثار والرسوم والتماثيل والمخطوطات والموميـاء المصرية والحلى والمنسوجات والنقود الذهبية وغيرها شيئاً كثيراً

المحجر الصحي في بيروت

يوم السبت في ١٦ ايلول ركبنا الباخرة (المينا) من الشركة الخديوية عائدين الى بورت سعيد ومنها الى بيروت فدخلنا المحجر الصحي (الكرنتينا) وصادفنا فيه كل رعاية واكرام خلافاً لما يشيعه بعض ذوي الغايات فان القائمين بادارة المحجر المذكور يعاملون الركاب معاملة الاخاء والصداقة و يبذلون جهدهم لسرورهم وراحتهم وعليه فليعلم كل مسافر ان هذا المكان في بيروت مكان يشرح الصدور وهو نزهة حقيقية لكل المسافرين وفي شهادة بعض الاعيان التي نشروها على صفحات الصحف لكفاية ..

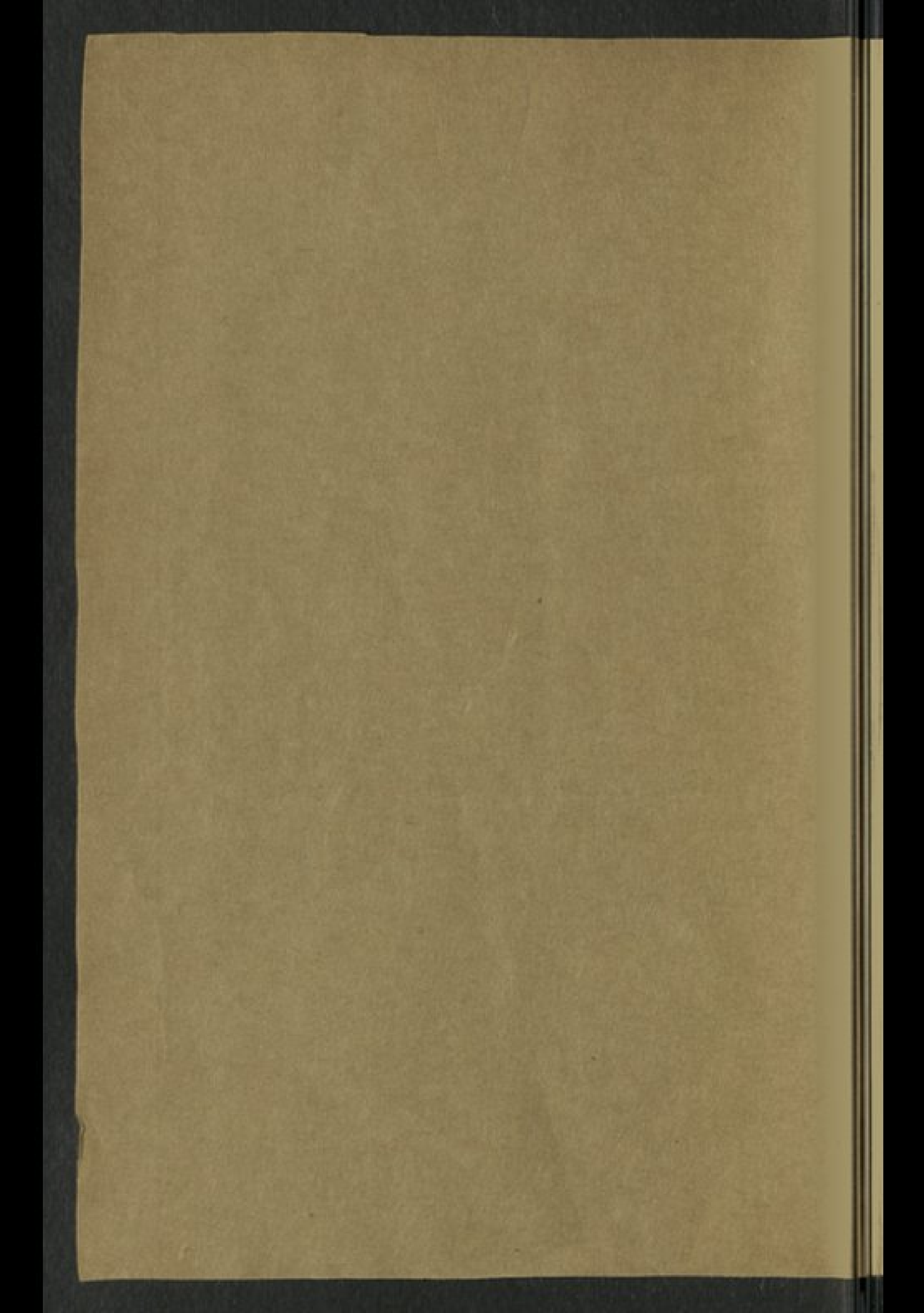
ولما خرجنا الى المدينة القينا عصا الترحال وقلنا حيا الله الآل والوطن مرتلين ايات الشكر للمنان في البدء والختام

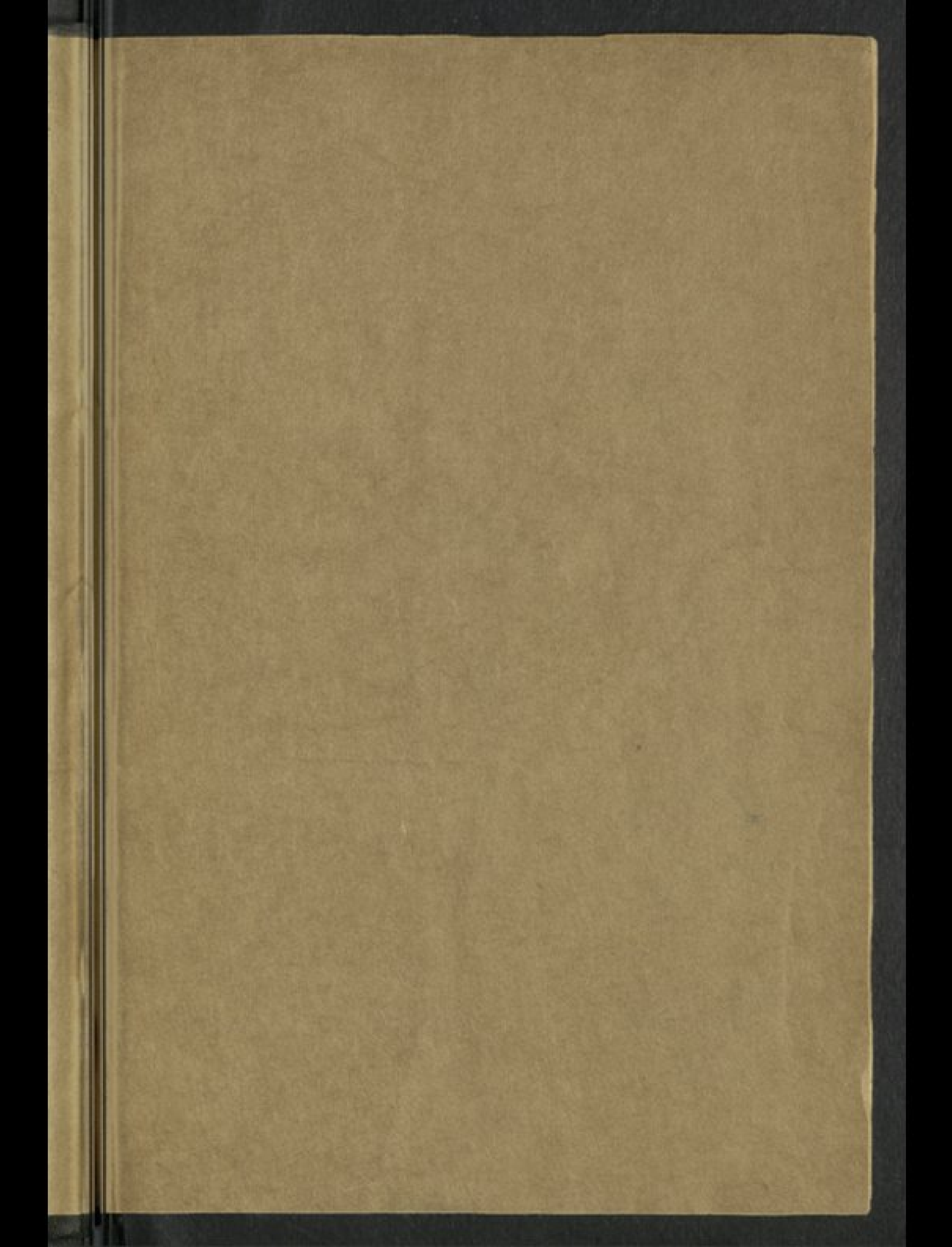
يا ايها السائلُ عن رحلتي ... وما الذي ارجو بهذا الكتاب
فاعلم هداك الله اني امرؤ ... كشفت عن وجه الصواب النقاب
ولست ارجو غير نفع الملا ... منه ومن ربيَ حسن الثواب



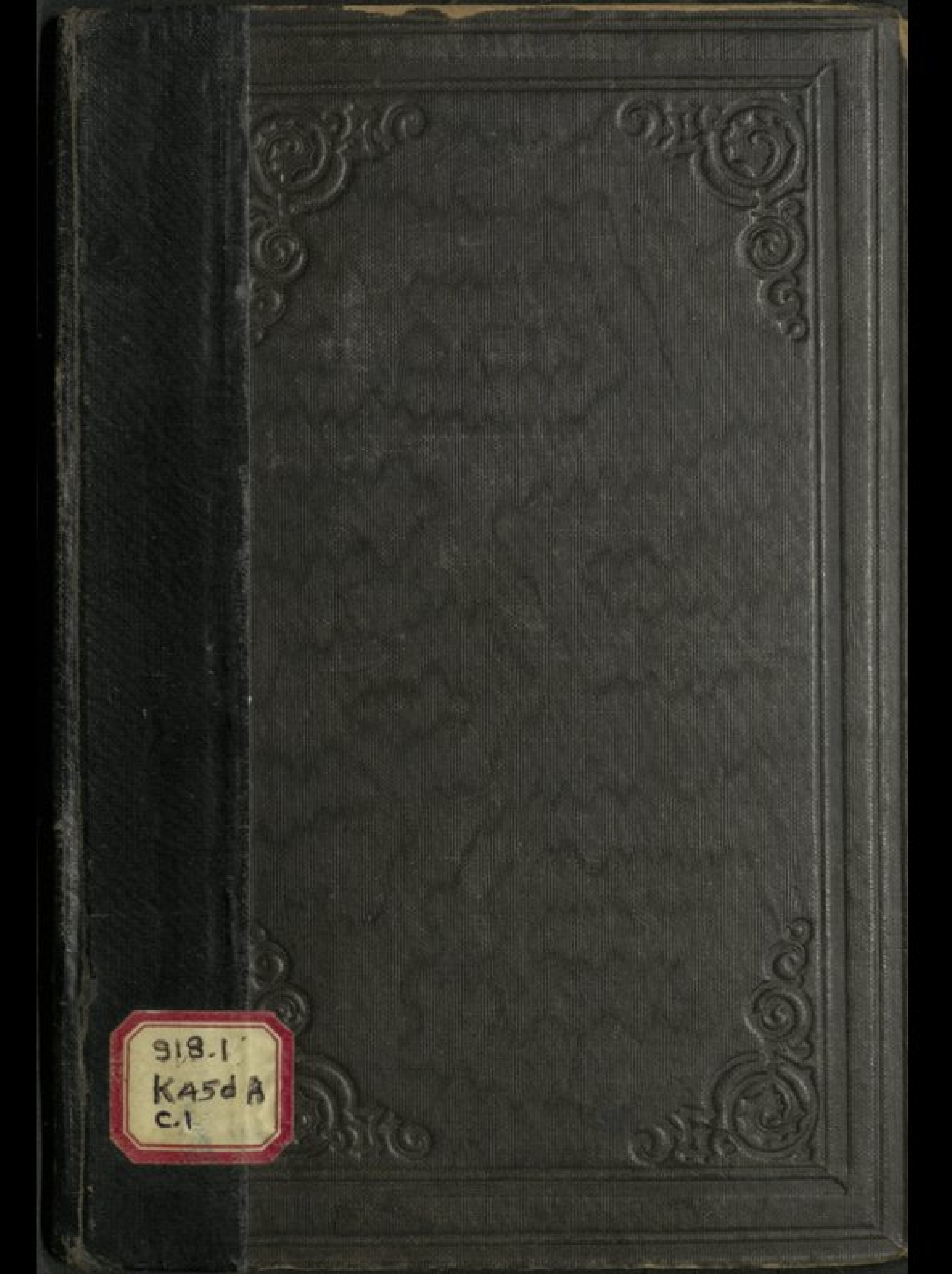
فهرس الكتاب

صفحة






AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت


918.1
K45d A
C.1